
19
روايات عالمية للجيب
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
العالم المفقود
بقلم: ارثر كونان دويل
ترجمة وإعداد:
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف

يندر الحديث عن (آرثر كونان دويل) إلا وتستدير الدفة تلقائيًّا نحو بطله الأشهر والأكثر إمتاعًا (شيرلوك هولمز) ..

إن الراغبين فى معرفة أشياء أكثر عن (شيرلوك هولمز) لقادرون على العثور عليها فى كل مكان تقريبًا .. لكننا نجد القليل جدًّا عن خالق (هولمز) ذاته .. وهذا نموذج جيد للشخصية الروائية التى تلتمع وتتألق حتى تطغى على شخصية كاتبها ذاته(★) ..

يمكن القول دون خطأ كبير أن (كونان دويل) حاول مرارًا التملص من شخصية (هولمز) ، وحاول أن يبدع خارج سجنها .. لكنه كان يفشل دومًا ويقابل بالفتور .. من ثَمَّ يعود إلى عالم (هولمز) من جديد .

وقد قرأنا دراسة شائقة لعقدة الشخصية المسيطرة هذه فى رائعة (ستيفن كنج) التى قدمناها فى الكتيب التاسع من هذه السلسلة : (الشيطانة) أو (ميزرى) .

(★) للمزيد من التفاصيل راجع العدد الأول من (فانتازيا) صفحة ٨٨

فى القصة التى بين يديك الآن يحاول (كونان دويل) الفرار من أسر (هولمز) .. ويمكن القول أنه نجح إلى حدٍ كبير .. ونالت القصة رواجًا دفعه إلى أن يقدم جزءًا ثانيًا لها تحت عنوان (النطاق السام) مع نفس الأبطال ..

★ ★ ★

كان السير (آرثر كونان دويل) طبيبًا من الذين جذبهم الأدب إلى عالمه السحرى الخلاب .. لكن الطب لم يفارقه لحظة ..

تعلم من الطب دقة الملاحظة ، ومنه اقتبس شخصية أستاذه العظيم د. (جوزيف بل) الذى كان هو (هولمز) فى كل شىء .. بملاحظته غير العادية للتفاصيل .. وبطوله الفارع .. وعينيه الشبيهتين بعينى صقر ..

لم يتصوّر الأستاذ ولا التلميذ أن علاقة الإعجاب هذه يمكن أن تؤدى بـ (كونان دويل) إلى هجر الطب والتفرغ لكتابة القصص البوليسية .. لكن هذا حدث .

وقدم (دويل) روايته (علامة الأربعة) عام ١٨٩٠ .. ثم (مذكرات هولمز) عام ١٨٩٤ ..

و (عودة شيرلوك هولمز) عام ١٩٠٥ .. و (عقدته الأخيرة) عام ١٩١٧ .. و (قضية هولمز) عام ١٩٢٧

بالإضافة إلى هذا قدم (دويل) روايته (الشركة البيضاء) عام ١٨٩١ .. وهى عمل أدبى تاريخى عالى القيمة لم يرض عنه أحد للأسف ..

ثم كتب مسرحية بعنوان (قصة واترلو) عام ١٩٠٠

وكان (كونان دويل) من المهتمين بعالم الأرواح وعلوم تحضيرها .. وله قصص مثيرة فى هذا الصدد .. وقد وضع خبراته فى هذا فى كتاب اسمه (تاريخ مذهب تحضير الأرواح) عام ١٩٢٦

وكتب سيرة حياته فى كتاب بعنوان (مذكرات ومغامرات) عام ١٩٢٤

لقد أثرى السير (آرثر كونان دويل) ـ الأديب الإنجليزى العظيم ـ عالم الأدب بمؤلفات كثيرة .. لكن شخصية (شيرلوك هولمز) ستظل هى الأكثر خلودًا وشهرة من كل أعماله .. وهذا دليل على عبقرية الرجل وعلى موهبته التى أسعدت الملايين من القراء بكل اللغات .

د. أحمد خالد

١ ـ هناك بطولة فى كل مكان ..

كان مستر (هنجرتون) أبوها أكثر الرجال فظاظة على وجه الأرض .. رجلاً مشعثًا قليل العناية بهندامه .. لكن اهتمامه يتركز حول شخصه السخيف .. ولو كان لشىء أن ينفرنى من (جلاديس) فهو أن يكون هذا الرجل حماى ..

وكان الرجل يؤمن أننى أقصد داره للاستمتاع بصحبته ، وسماع آرائه فى الاقتصاد ، وقيمة الفضة الرمزية ، ومعدلات استبدال العملة ..

وفى تلك الأمسية قال لى :

ـ « تصور لوْ أن المدينين فى كل العالم قد أصروا فجأة على سداد ديونهم حالاً .. فماذا سيحدث وقتها ؟ »

قلت له فى وضوح أن الخراب سيحل بى لو حدث هذا .. عندها وثب من مقعده ، واتهمنى بالتهكم الدائم مما يجعل من العسير مناقشة أى أمر جدى معى .. وغادر المكان قاصدًا أحد الاجتماعات الماسونية ..

وكذا وجدت نفسى مع (جلاديس) ..

ومن الجدير بالذكر أننى اخترت هذا اليوم لأطلب يدها .. وكان الهلع يغمرنى خشية الإخفاق ..

كانت رائعة الحسن حيث جلست جوار الستار الأحمر .. لكنها كانت نائية عنى أميالاً ..

إن (جلاديس) أنثى بحق .. وإن كان البعض يزعم أنها باردة جامدة .. لكنى لا أعتقد ذلك .. كل ما هنالك أننى عاجز عن العثور على السر الذى يضرم اللهب فى هذا الجمال .. لكنى الليلة أزمعت أن أجد مخرجًا .. فأن أكون حبيبًا مرفوضًا ، لخير عندى من أن أظل صديقًا ترتاح إليه ..

فجأة هزت رأسها الشامخ ونظرت عيناها البنيتان المدققتان إلىَّ :

ـ « إننى أحدس أنك موشك على طلب يدى يا (نيد) .. وكم أود لو لم تفعل .. فالأمور على ما يرام كما هى .. »

جذبت مقعدًا لأجلس قربها وتساءلت بدهشة حقيقية :

ـ « كيف عرفت أننى سأفعل ؟ »

ـ « ألا تعرف النساء ذلك دومًا ؟ ولكن باللّه يا (نيد) .. من الخسارة أن تفسد صداقتنا هذه .. »

ـ « لا أدرى يا (جلاديس) .. إننى أريد منك ما هو أكثر من الصداقة .. »

قالت فى توتر :

ـ « أنا لم أشعر بحبك قط .. والحب يحتاج إلى تمهل .. »

ـ « ولماذا لا تحبيننى ؟ أهو مظهرى أم ماذا ؟ »

تراجعت للوراء .. ومدت يدها لتربت على رأسى ـ وياله من وضع جميل ـ ونظرت إلى وجهى المكفهر .. وابتسمت :

ـ « لا .. ليس الأمر هكذا .. إنما هو أعمق من هذا .. »

ـ « شخصيتى ؟ »

فأومأت برأسها بشدة ..

ـ « ولكن ماذا بوسعى أن أفعل لأصلحه ؟ اجلسى وتكلمى ! »

نظرت لى فى ارتياب محير .. كم يغدو الأمر بدائيًا قاسيًا حين تغدو الأمور بلون أبيض وأسود ! لكنها جلست على كل حال .. وقالت :

ـ « إننى أحب شخصًا آخر ! »

فوثبت من مقعدى .. قالت ضاحكة من تعبير وجهى :

ـ « ليس شخصًا بذاته .. بل هو مجرد مثل أعلى .. فأنا لم ألق قط ذلك الرجل الذى فى ذهنى .. »

ـ « وماذا يقدر على عمله وأعجز أنا عنه ؟ »

قالت فى شرود :

ـ « ليكن .. يجب أن يكون هذا الرجل شجاعًا .. لا يهاب الموت .. رجل حقق أمجادًا لا توصف .. رجل كهذا جدير بأن تهيم به المرأة حبًا .. »

قلت لها :

ـ « للأسف ليس بوسع الجميع أن يكونوا هذا الرجل .. أنا لم تسنح لى فرصة تحقيق الأمجاد ، لكنها لو أتيحت لى فلن أتركها .. »

قالت :

ـ « هذا الطراز من الرجال يخلق فرصه خلقًا .. ولا يرده أحد عن غايته .. إن البطولات حولنا تنتظر من يحققها من الرجال .. وعلى النسوة أن يدخرن حبهن جائزة لأولئك الرجال بمعنى الكلمة .. أريد أن تحسدنى النساء جميعًا على رجلى .. »

وأضافت وقد غلبها الحلم :

- « أعرف أن هذه خيالات مراهقة .. لكنها صارت قطعة من روحى .. ولو كان لى أن أتزوج يومًا فليكونن زوجى رجلاً شهيرًا يشار له بالبنان .. »

صحت فيها :

- « سيكون لك هذا .. سأخلق فرصتى خلقًا .. ولن أنتظر المجد حتى يوافينى بل سألحق به وأصنعه ! »

ابتسمت وقالت :

- « إن هذا يسرنى لأننى بعثت فيك هذه الروح .. »

وأردفت وهى تضع يدها الدافئة فوق ثغرى :

- « يومًا ما حين تجد لك مكانًا فى هذه الدنيا .. سيكون بيننا حديث طويل ! »

* * *

وهكذا - فى هذا المساء الضبابى من شهر (نوفمبر) - وجدت نفسى أهرع إلى ترام (كامبرويل) وقلبى يتوهج داخلى .. وفى روحى عزم على ألا يمر يوم آخر دون عمل يجعلنى جديرًا بفتاتى .. ولكن من كان يتصور نوعية هذا العمل .. ولا الخطوات الغريبة التى قادتنى إلى ما تلا ذلك من أحداث ؟

إن هذا الفصل لا علاقة له بقصتى .. لكن القصة كلها ما كانت لتحدث لولاه .. إن الرجال ليأتون بأفعال غريبة حين تتملكهم فكرة أن العالم يعجَ بالبطولات حولهم .. لهذا تروننى فى مكتبى بجريدة (ديلى جازيت) حيث أعمل صحافيًا ، أفتش فى لهفة عن عمل جدير بحبيبتى (جلاديس) ..

هل كانت تلك أنانية منها أن تجعلنى أجازف بحياتى من أجل فخارها ؟ »

ربما تتبادر أسئلة كهذه إلى ذهن رجل فى منتصف العمر ، لكنها ما كانت لتخطر لعاشق فى الثالثة والعشرين من عمره .. يلتهب قلبه بنيران حبه الأول .

* * *

٢ - جرب حظك مع البروفسور (تشالنجر)

كنت أحب (ماكاردل) العجوز محدودب الظهر ، أحمر الشعر .. وهو رئيس قسم الأخبار فى جريدتنا .. وفى تلك الليلة دخلت مكتبه .. فرفع عويناته لأعلى وقال بلهجته الإسكتلندية المحببة :

- « حسن يا مستر (مالونى) .. أنت موفق تمامًا فى عملك .. لكنى لا أعرف سر طلبك مقابلتى .. »

قلت له :

- « كنت أود لو أرسلتنى فى مهمة صحفية .. إننى سأقوم بهذه المهمة خير قيام .. لكنى أبحث عن مهمة خطرة تفعمها الأهوال والأخطار .. »

- « تبدو متلهفًا على الموت يا بنى ! »

- « بل متلهفًا على إيجاد مبرر لحياتى يا سيِّدى .. »

راح يفكر قليلاً .. ثم قال لى :

- « لِمَ لا تجرب حظك مع البروفسور (تشالنجر) ؟ لربما كشفت النقاب عن زيفه وخداعه .. ما رأيك ؟ »

انتفضت هلعًا .. وهتفت :

- « أليس هو (تشالنجر) عالم الحيوان الشهير ؟ الذى حطم جمجمة محرر جريدة (التلجراف) ؟ »

- « ألم تقل أنك تفتش عن المخاطر ؟! »

- « مادام هذا عملاً يا سيِّدى .. لكن .. »

- « ممتاز !.. أنا لا أعتقد أن الرجل شرس بهذا الأسلوب دائمًا .. ولعل محرر (التلجراف) قد قابله فى وقت غير مناسب .. أو بأسلوب غير مناسب .. ولربما كان حظك أفضل أو حيلتك أوسع .. »

- « لكنى أجهل كل شىء عنه .. »

تناول من درج مكتبه ورقة وراح يقرأ منها :

- « هو ذا ملخص لحياة الرجل .. لقد نال ميدالية فى علم الحيوان .. ونشر عددًا كبيرًا من المؤلفات العلمية .. ويهوى المشى وتسلق الجبال .. وقد زار أمريكا الجنوبية منذ عامين .. إنه يأبى تحديد المكان الذى كان فيه حقًا .. ولديه صور فوتوغرافية غريبة يزعم الكثيرون أنها ملفقة .. وحين حكى مغامرته هناك هاجمه بعض المتشككين ، مما جعله يستشيط غضبًا .. وهو يضرب الصحفيين ويقذفهم من فوق الدرج كلما حاولوا سؤاله عن مغامرته .. هذا هو

رجلك يا مستر (مالونى) ! إذهب لتر ما يمكنك عمله معه فأنا على يقين من كونه يملك شيئاً مهماً .. وأحمد الله على كونك متين البنيان بحيث تستطيع مقاومة الرجل .. »

* * *

وفى النادى قابلت رجلاً ناحلاً طويل القامة يجلس على (شيزلونج) أمام المدفأة .. كان هذا هو (تارب هنرى) محرر مجلة (نيتشر) الممتلئ رقة ولطفاً .. جلست جواره ودخلت فى الموضوع مباشرة :

- « ماذا تعرف عن البروفسور (تشالنجر) ؟ »

قطب جبينه فى امتعاض علمى :

- « (تشالنجر) ؟ إنه الرجل الذى جاء بخرافة من أمريكا الجنوبية .. »

- « عن ماذا ؟ »

- « عن حيوانات غريبة وجدها هناك .. »

- « أما من تفاصيل أكثر .. »

- « لا أعرف الكثير .. لكن (تشالنجر) ليس بالرجل الذى يمكن تجاهله .. إنه شحنة من الحيوية لكن أخلاقه عنيفة .. وهو يهوى الشجار .. ولا يمانع فى تزوير نتائجه العلمية .. »

ثم أضاف :

- « عندى محضر اجتماع لمؤتمر أقيم فى (فيينا) .. وقد تحدث فيه عن التطور وتسبب فى مشادة شنيعة .. فهل تحب أن تقرأه ؟ »

- « بالطبع .. فما دمت أنوى لقاء الرجل يجب أن أعرف ما الذى يتحدث عنه .. »

وهكذا .. بعد نصف ساعة وجدت نفسى فى أرشيف المجلة وأمامى ملف عملاق يحوى ما دار فى مؤتمر (فيينا) .

كانت المصطلحات العلمية كثيرة فلم أفهم أغلب ما دار فى المحضر .. لكن الحوار كان حافلاً بالمشادات والاحتجاجات .. وفيما عدا ذلك بدا لى كأن الجلسة دارت باللغة الصينية .

كان التصرف الذى بدا لى معقولاً هو أننى انتقيت جملة فهمتها - ولو بشكل غامض - من حوار الجلسة .. وصممت على أن تكون هى موضوع مراسلتى مع البروفسور .. وانتقيت ورقة عليها اسم المجلة (نيتشر) لأكتب خطابى عليها .. وبالتالى يكتسب خطابى أهمية علمية ما .

قال (تارب) محتجًا :

ـ « لكن الرجل سيحضر إلى مقر المجلة ليحطمه فوق رءوسنا ! »

ـ « كلا .. إن الخطاب سيكون مهذبًا .. ولن يضايقه فى شىء .. »

وكان نص الخطاب مهذبًا بالفعل .. طلبت فيه شرف لقاء البروفسور لمناقشة جملة معينة لفتت نظرى فى مؤتمر (فيينا) .

كنت آمل أن ألقى البروفسور بأى شكل .. وحين نلتقى ، لربما فسرت له كل شىء . وسيفهم الأمر باسمًا لو كان يملك روح الدعابة .. »

قال (تارب) فى حسرة :

ـ « روح دعابة ؟ إنك ستكون بحاجة إلى درع واق .. وعلى كل حال ستجد الردّ عندى هنا صباح الأربعاء لو أنه تنازل بالردّ .. إنه لشخص خطر شرس يمقته الجميع .. ولربما كان من الخير لك ألا تسمع منه ردًا على الإطلاق .

* * *

٢ ـ إنه لرجل مستحيل حقًا ..

لم تكن مخاوف صاحبى ـ أو آماله ـ قابلة للتحقق .. فحين ذهبت يوم الأربعاء إلى الجريدة وجدت خطابًا عليه خاتم بريد (وست كنزنجتون) .. وعليه اسمى بخط يشبه سلكًا شائكًا .. أما محتواه فكان :

« سيدى » ..

تلقيت خطابك فى سأم إذ تزعم أن آرائى لم ترق لك .. برغم أننى أعرف أنها ليست بحاجة إلى رضاك أو رضا سواك .. لقد استعملت لفظة تبدو لى مهينة هى (زعم) حين تحدثت عن آرائى فى مذهب (داروين) .. ثم تحدثت عن عبارة لم تفهمها من خطابى .. وأنا أرى أن هذه العبارة واضحة حتى لمستوى ذكاء أقل من البشرى .. لكن لا بأس من أن أدعوك لزيارتى لأشرحها لك برغم أننى أمقت الزوّار بجميع أشكالهم .. »

« عليك أن تبرز هذا الخطاب لخادمى (أوستين) كى يتأكد من أنك مدعو .. لأنه يبعد عنى كل هؤلاء الأوغاد الذين يدعون أنفسهم (صحفيين) ! »

جورج إدوارد تشالنجر

قرأت الخطاب بصوت عال لـ (تارب) .. وكان تعليقه الوحيد هو :

- « إنه يتمتع بروح رياضية حقًا ! »

واستقللت سيارة أجرة إلى موعدى ..

كان البيت يشى بالثراء .. لكنه رهيب .. وفتح لى الباب السائق وسألنى عن مقدمى فأبرزت له الخطاب .

سمح لى بالدخول إلى رواق طويل .. فإذا بامرأة قصيرة القامة تهرع لتقول لى :

- « هل قابلت زوجى من قبل ؟ »

- « لا يا سيدتى .. لم أحظ بشرف كهذا .. »

- « إذن يجب أن تعلم أن زوجى مستحيل .. رجل مستحيل حقًا .. وأرجو أن تكون أقدر على تحمله بعد هذا التحذير .. لو أبدى ميلاً للعنف ، فعليك أن تغادر المكان فورًا .. لو كان مقدمك للحديث عن أمريكا الجنوبية فأنا أناشدك - حتى لو لم تصدق حرفًا - ألا تظهر ذلك .. تظاهر بتصديق ما يقول لك ، فلعل هذا يضمن لك بعض السلامة ! »

بعد هذا الكلام المطمئن ؛ اقتادنى الخادم إلى غرفة الأستاذ .. وقرع الباب ، فسمعت صوتًا كصوت ثور غاضب .. ووجدتنى أمام الرجل ..

كان يجلس على مقعد دوّار خلف منضدة عريضة ملآى بالكتب والخرائط .. وحين رأيته أطلقت شهقة .. كنت أتوقع شيئًا غريبًا ، لكن ليس إلى هذا الحدّ .. كان حجمه غير عادى .. حجمه وحضوره المسيطر .. وكان رأسه أضخم رأس رأيته فى حياتى .. وعيناه زرقاوين رماديتين فيهما صفاء وسيطرة .. ثمة لحية سوداء تغطى صدره .. وكتفان عريضان ويدان يغطيهما شعر كث ..

الحق أننى لم أر آدميًا أقرب للثور من هذا ..

سألنى فى فظاظة :

- « والآن ماذا تريد ؟ »

قدمت له الخطاب .. فقال على الفور :

- « إذن فأنت الشاب الذى لا يفهم الإنجليزية .. أليس كذلك ؟ لكنك بالطبع موافق على الخطوط العامة ؟ »

- « بالتأكيد يا سيدى .. بالتأكيد ! »

- « إذن قل لى ما تريد سريعًا .. »

- « خيّل إلى أنك كنت قاسيًا فى هجومك على (فايتسمان) .. »

مال إلى الأمام فى عصبية .. وراح يعزز وجهة نظره معددًا على أصابعه عدة عوامل لم أفهم منها حرفًا .. لكنى رحت أوافق على كل كلمة مما يقول ..

وفى النهاية سألنى فى لهجة رقيقة :

ـ « إلى أى شىء يقودنا هذا ؟ »

قلت بنفس اللهجة :

ـ « آه .. إلى أى شىء ؟ »

هنا انفجر صارخًا كالبركان :

ـ « يقودنا إلى أنك نصاب متلصص .. صحفى دنىء يحاول خداعى .. لقد كنت أقول لك كلامًا لا معنى له .. لكنك كنت تؤيد ما أقول طيلة الوقت ! »

وهبَّ على قدميه .. وتقدم منى ببطء ..

هنا لاحظت أنه قصير القامة من النوع الذى يسمونه (مدكوك) .. لقد تركزت قوة هذا الرجل فى العمق والعرض وحجم الرأس ..

ـ « حسن يا سيد .. لقد أنذرتك .. لكنك لعبت لعبة خطرة .. ويؤسفنى أنك قد خسرتها ! »

قلت وأنا أتقهقر بظهرى للباب :

ـ « إسمع يا سيد .. يمكنك أن تكون وقحًا إذا أردت .. لكن لا تعتدِ علىَّ بأية صورة ! »



كنت أتوقع شيئًا غريبًا ، لكن ليس إلى هذا الحدّ ..
كان حجمه غير عادى ! ..

- « ألن أفعل ذلك ؟ »
قالها ودسّ يديه الكبيرتين فى جيب سترته .. وأردف :
- « لقد رميت كثيرين من أمثالك خارج دارى .. فلم لا تلحق بهم ؟ »
صحت فيه وأنا أفكر فى المزلاج الموصد :
- « لا تكن أحمق يا بروفسور .. إننى ثقيل الوزن وصلب .. أنا لست الرجل ..... »
لم يتركنى أكمل كلامى إذ وثب علىّ ..
وكنت محظوظًا لأنى فتحت الباب .. وانزلقنا إلى الردهة .. وأسقطنا مقعدًا فى طريقنا .. وامتلأ فمى بلحيته .. واشتبكت ذراعانا .. بينما قوائم الكرسى اللعين تحاصرنا .. وبدحرجة للخلف انزلقنا على الدرج .
ولم أدر متى فتح الخادم باب الشارع فوجدنا نفسينا هناك .. ووجدت الرجل ينهض ملوحًا بقبضته يريد استكمال المشاجرة ، وهو يلهث كمرضى الربو .. فصحت فيه بجنون :
- « أيها الثورالجهنمى ! »
كان هناك رجل شرطة قادمًا .. فنهضت مسرعًا وأشرت إلى البروفسور :

- « هذا الرجل قد هاجمنى ! »
نظر لنا الشرطى مليًا .. وغمغم :
- « إنها ليست المرة الأولى .. لقد أحدث شغبًا مماثلاً الشهر الماضى .. »
ثم سألنى :
- « هل تتهمه يا سيّدى ؟ »
قلت له وأنا أنهض :
- « لا .. أنا الملوم .. لقد تطفلت عليه وهو قد أنذرنى مرارًا قبل هذا .. »
نظر الأستاذ إلىّ فى دهشة ، على حين انصرف الشرطى بعد أن أنذر الرجل من إحداث مزيد من الشغب
هنا قال لى البروفسور وهو يشير إلى داره :
- « هيا ندخل !.. أنا لم أنته منك بعد ؟ »
تبعته إلى داخل الدار .. وكتمثال خشبى أوصد (أوستن) الباب وراءنا .

★ ★ ★

٤ - أضخم شئ فى العالم ..

ما إن انغلق الباب وراءنا حتى اندفعت زوجة البروفسور نحونا .. كدجاجة حانقة تسد الطريق على كلب (بولدوج) .. وصاحت فى زوجها :

- « يا لك من وحش يا (جورج) ! لقد آذيت الشاب اللطيف » .

ثم واصلت اللوم وهى ترمق أثر المشاجرة على وجهى :

- « كل أسبوع تكرر ذات المشهد .. حتى صار الجميع يمقتونك ويسخرون منك .. لقد نفد صبرى .. »

غمغم فى ضيق :

- « هذا غسيل قذر »

- « ليس سرًا .. ألا تعرف أن كل الشارع .. كل (لندن) .. لا يتحدثون إلا عنك ؟ » أين كرامتك يا (جورج) ؟ لقد صرت مشاغبًا فى زقاق .. وإنك لتختبر تحملى أكثر من اللازم .. »

قال لها فى هدوء وهو يضع يديه الضخمتين على كتفيها :

- « كان يمكن أن أكون أفضل لو اتبعت نصائحك ، لكنى ما كنت لأكون أنا .. ليس فى العالم إلا (جورج إدوار تشالنجر) واحد .. وهو ملكك ! »

ثم التفت إلىّ فى وقار قائلا :

- « هذا الطريق من فضلك يا مستر (مالون) ! »

عدنا إلى غرفة مكتبه .. فأجلسنى وقدم لى سيجارًا فاخرًا .. وقال :

- « والآن يا مستر (مالون) .. أصغ لما أقول بانتباه ولا تقاطعنى .. لقد راقت لى إجابتك لهذا الشرطى .. إنها تعكس نوعًا من الشعور الكريم لديك ليس معتادًا أن أجده لدى صحفى .. ولهذا السبب أشعر بميل لتعرفك أكثر .. »

قالها وراح يعبث فى الأوراق على مكتبه .. ثم رفع ما يشبه كراسة لرسم (الاسكتشات) التخطيطية .. وأردف :

- « سأحدثك عن أمريكا الجنوبية .. لا تعلق من فضلك .. لا داعى لأن أذكر أن حرفًا مما سأقول الآن لا يسمح بذكره لأحد .. هل هذا واضح ؟ »

قلت بعد تفكير :

- « حسن .. حسن .. سأقبل أية شروط .. »
- « كلمة شرف ؟ »
- « كلمة شرف »
- « وماذا تعرف عن الشرف على أية حال ؟!.. »
جن جنونى فصحت محنقًا :
- « إنك لتسمح لنفسك بتجاوز الحدود .. لم يهنى أحد فى حياتى إلى هذا الحدّ »
بدا أنه مستمتع بثورتى .. فقال :
- « رأس مستدير .. شعر أسود .. عينان رماديتان .. جمجمة مستطيلة .. يبدو لى أنك من أصل زنجى .. أليس كذلك .. ؟ »
- « أنا أيرلندى يا سيدى .. »
- « هذا يفسر الأمر .. والآن سأبدأ كلامى .. تعرف أننى قمت منذ عامين برحلة إلى حوض الأمازون فى أمريكا الجنوبية .. كنت أبغى تحقيق بعض كشوف (والاس) و (بيتس) .. ولو اقتصرت رحلتى على هذا الغرض ، لكانت تستحق العناء .. لكننى وجدت علامات تقود إلى عالم جديد لا يصدق .. »
« مررت فى طريق عودتى على قرية من قرى الهنود (الكوكاما) .. وهم قوم مسالمون لا يزيد

ذكاؤهم على ذكاء مواطن إنجليزى متوسط .. كنت قد شفيت بعض مرضاهم ، لهذا كانوا يميلون إلىّ .. وأدركت من إشاراتهم أنهم بحاجة لعونى .. وفى داخل كوخ من أكواخهم وجدت رجلاً أبيض قد احتضره الموت ، وكانت جواره حقيبة بداخلها اسمه (مابل وايت) من (ليك أفنيو) فى (دوترويت) بالولايات المتحدة .. لقد كان الرجل رسامًا يحمل فى جعبته الكثير من الألوان وفرش الرسم .. ووجدت هذه الكراسة فى جيبه .. »
وتناول سيجارًا وتراجع للوراء يرمقنى متفحصًا .. ليرى الأثر الذى ستحدثه هذه المخطوطة فى نفسى .. فتحت الكراس وأنا أتوقع شيئًا مبهرًا .. لكن الصفحة الأولى لم يكن بها ما يثير الانتباه سوى صورة لرجل بدين كتب تحتها (جيمى كولفر على قارب البريد) .. بعد هذا ، صفحات عدة بها رسوم للهنود وطرائق معاشهم .. دراسات لنساء الهنود وأطفالهن .. ثم صور للحيوانات تحتها تعليقات على غرار (ماناتى على هضبة رملية) .. (سلاحف وبيضها) .. ثم صفحة تضم صورًا لزواحف كريهة للغاية .. أخبرنى البروفسور أنها تماسيح أمريكية (قاطور) ..

فى الصفحة التالية رأيت رسمًا لخط من الحواجز الصخرية التى يكسوها النبات وتبدو كسور على طول المنظر الخلفى.. كانت هناك صخرة هرمية فوقها شجرة .. وفى الصفحة التالية رأيت أغرب مخلوق رأته عيناى ..

كان كائنًا له جسم تمساح يرتمى ذيله على الأرض .. والرأس كان رأس طائر .. ورأيت صورة قزم يقف أمام هذا الشىء ويرمقه ..

- « الآن ما قولك فى هذا ؟ »

قالها الأستاذ مزهوًا .. فقلت له :

- « إنه تأثير الخمر المحلى فى رأسه .. كما أعتقد .. لقد كان الرسام ثملاً .. »

- « أهذا خير تفسير عندك ؟ »

- « وما هو خير تفسير عندك يا سيدى ؟ »

- « التفسير الواضح : إن هذا المخلوق موجود فعلاً وقد رُسم من الطبيعة وإنك لتزيد من سعة فهمى لجوانب التخلف العقلى والعته .. رائع ! »

كدت أغضب .. لكنى رأيت أن فى هذا مضيعة للجهد .. لو أنك أردت أن تغضب من هذا الرجل فلسوف تغضب طيلة الوقت ..

وضع إصبعه المشعر الشبيه بالسجق على الخريطة ، وقال :

- « أنظر هنا .. أترى هذا النبات ؟ إنه ليس عشبًا .. بل هو نخلة كاملة يبلغ طولها ستين قدمًا .. وهذا الرجل .. المفترض أن طوله ستة أقدام .. وهذا يعنى أن ارتفاع الحيوان هو .... »

صحت فى ذعر :

- « يا للسماء ! لكنك لن تلقى بتجربة الجنس البشرى جانبًا على أساس رسم تخطيطى واحد .. رسمه رسام أمريكى جوّال تحت تأثير الحشيش ، أو هذيان الحمى ، أو ببساطة طلبًا لمجد زائف .. أنت رجل علم ولن تسمح بهذا .. »

قدّم لى البروفسور عظمتين لأفحصهما .. كانت الواحدة منهما تبلغ ست بوصات طولاً .. وقال إن العظمتين بالتأكيد من ذلك الوحش .. وكانتا فى حاجيات المتوفى ..

- « ألا يمكن أن تكون عظمة فيل ؟ »

- « لا أفيال فى أمريكا الجنوبية .. أما زلت غير مصدق ؟ »

- « لنقل أننى - فقط - مهتم جدًا .. »

- « على الأقل ليست حالتك ميئوسًا منها .. يخيل إلىَ أن لديك بعض العقل .. سنترك الأمريكى الميت الآن ونعود لقصتى .. لقد عرفت الجهة التى جاء منها ذلك الرحالة المتوفى .. إن الهنود يتحدثون عن أرض تسكنها أرواح الغابات التى يدعونها (كوروبورى) .. إنها شىء مفزع مخيف يجدر بالمرء أن يفر منه .. لا أحد يعرف كنهه .. لكن القبائل كلها متفقة على مكان (الكوروبورى) .. وهو نفس الاتجاه الذى جاء الأمريكى منه .. ثمة شىء مريع هناك .. وعملى هو أن أعرف ما هو .. »

- « وماذا فعلت ؟ »

- « نجحت بالإقناع والهدايا أن أجعل اثنين من الهنود يعملان دليلين لى .. وبدأت رحلتى إلى ذلك المكان .. وبعد مخاطر عدة وصلنا إلى إقليم لم يره بشر قط عدا سلفى البائس .. هلا نظرت إلى هذه ؟ »

كانت فى يده صورة فوتوغرافية حال لونها .. وقال :

- « إن حالتها السيئة تعود لأن القارب انقلب فى أثناء العودة .. وكانت الأفلام فى حقيبتى .. وهى خسارة لا يمكن إصلاحها .. وهذا هو ما جعل هناك أقاويل عن تزوير الصور .. »

كانت الصورة تظهر مشهدًا طبيعيًا ، لكننى استطعت أن أفهم أنه يمثل خط الصخور الطويل الذى رأيته فى الرسم التخطيطى .. وكانت هناك صورة أخرى لذات المشهد من زاوية أقرب تظهر الصخرة الهرمية والشجرة فوقها .. فقلت :

- « لاشك عندى فى أنه ذات المكان .. »

- « وهل ترى هذا الذى فوق الشجرة ؟ »

وقدم لى عدسة مقربة فنظرت خلالها .. وقلت له :

- « كأنه .. إنها بجعة .. »

- « ليس بجعة .. ليس طائرًا على الإطلاق .. لقد قمت بصيده ببندقيتى .. وكان هذا دليلاً مؤكدًا .. »

- « إذن هو لديك ؟ »

- « كان لدى .. ثم ضاع فى النهر حين انقلب القارب .. وما تمكنت من الحصول عليه هو جزء من جناحه .. »



وأخرج من درج مكتبه ما بدا لى كجزء أعلى من جناح وطواط عملاق ..

وأخرج من درج مكتبه ما بدا لى كجزء أعلى من جناح وطواط عملاق .. كان طوله قدمين وله غلاف غشائى ..

قلت مقترحًا :

ـ « وطواط هائل ! »

ـ « لا ليس وطواطًا .. إن كونى أحيا فى جو علمى يجعلنى لا أصدق أن الناس يجهلون أبسط قواعد علم الحيوان إلى هذا النحو .. أحقًا لا تعلم تلك الحقيقة البسيطة فى التشريح المقارن : إنَّ جناح الطائر هو ساعده فى الحقيقة .. وجناح الوطواط هو ثلاثة أصابع طويلة يربطها غشاء ؟! هذه العظمة ليست عظمة ساعد .. ولا يوجد غشاء حولها .. بالتالى هى لا تخصّ طائرًا ولا وطواطًا .. فما هى إذن ؟ »

كان قسطى الضئيل من العلم قد نفد .. فهززت رأسى فى عجز ..

قال وهو يشير إلى الكراس :

ـ « إنه زاحف من زواحف العصر (الجوراسى) .. ظهر على الأرض منذ مائة وخمسين مليون سنة ..

اسمه العلمى هو (تيروداكتيل)(*) .. هى ذى صورته ويمكنك أن تقارنها بالجناح الذى لديك .. »

هنا أصابنى الذهول .. وصحت وقد صحا حماسى الصحفى لا العلمى :

ـ « إنه مذهل .. أنت (كولمبوس) العلم الذى وجد عالمًا جديدًا مفقودًا أنا أعتذر إذ شككت فيك .. لكنى أفهم الآدلة حين أراها ..

همهم فى رضا .. واستكمل قصته :

ـ « كان هذا هو موسم الأمطار يا مستر (مالون) .. وقد أوشكت المؤن على النفاد .. ووجدت مكانا فوق الصخرة الهرمية يصلح للتسلق .. ومن أعلاه رأيت سهلاً ممتدًا لا نهاية له .. داخله أراض ملأى بالمستنقعات والأوحال .. ولقد عسكرنا هناك أسبوعًا ظللنا طيلته نسمع أصواتًا غريبة من الإقليم .. »

ـ « وكيف وجدت الوحوش فى هذا الإقليم ؟ »

ـ « لا أحسب المشكلة غامضة إلى هذا الحدَ .. إن أمريكا الجنوبية ـ كما أخالك تعرف ـ قارة جرانيتية .. وقد حدث فى هذا الموضع ـ فى زمن سحيق ـ انفجار

(*) بتروداكتيل : الإصبع المجنح باللاتينية .

* * *

بركانى مهول .. أدى إلى ارتفاع كتلة من الأرض بما عليها من وحوش فوق مستوى القارة .. بالتالى ظلت هذه الحيوانات بمعزل عن عوامل الانقراض فى باقى القارة .. إن السير (برسيفال والدرون) عالم الأحياء الشهير سيلقى هذه الليلة محاضرة فى الثامنة والنصف ، فى قاعة (هول) عن (سجل العصور) .. وقد دُعيت لحضور هذه المحاضرة .. ستكون معى هذه الليلة لترانى أقدم ملاحظاتى بشكل عقلانى رقيق .. سيكون هذا نموذجًا لسيطرة الروح على العاطفة .. ولعلى بهذا الأسلوب الهادئ أنجح فى الحصول على نتيجةٍ ما .. »

ـ « وهل لى أن ألحق بك ؟ »

أجاب فى مودة :

ـ « بالتأكيد سيكون من دواعى سرورى أن أعرف أن هناك من يؤيدنى فى القاعة برغم جهله وقلة كفاءته .. سيكون الحضور كبيرًا لأن (والدرون) ذو شعبية هائلة برغم كونه مهرجًا علميًا .. والآن يا سيدى لقد أعطيتك من وقتى الكثير .. وعلى المرء ألا يحتكر ما هو ملك للعالم .. وأنت تفهم طبعًا أن ما قلته لك ليس للنشر .. »

- « لكن .. لكن المستر (ماكاردل) .. سيريد معرفة ما فعلت .. »

- « قل له ما تشاء .. قل له أيضًا أنه لو أرسل لى من يتدخل فى حياتى بوقاحة ؛ فسوف أزوره حاملًا سوط الركوب لأجلده به .. وأنا أثق بأنك لن تنشر حرفًا مما قلت .. ولا تنس موعدنا فى الثامنة والنصف الليلة .. »

وحين أخرجنى من الغرفة ، لم أعد أذكر سوى خدين أحمرين .. ولحية زرقاء .. وعينين لا تقاومان ...

★ ★ ★

٥ - سؤال !

كنت منهكًا جثمانيًا بعد صدامى الأول مع البروفسور (تشالنجر) .. وكنت منهكًا عقليًا بعد لقائى الثانى ..

لكنى حين وجدت نفسى فى (إنمور بارك) كانت فكرة واحدة تتردد فى رأسى الذى يمزقه الصداع : هذا الرجل يحكى قصة حقيقية .. ويمكن أن تكون طبعة لا توصف من جريدة (جازيت) لو أنه سمح لى بنشرها ..

استقللت سيارة أجرة إلى الجريدة .. حيث كان (ماكاردل) فى مكتبه كالعادة ..

صاح فى شغف :

- « حسن .. ماذا حدث أيها الشاب ؟ لا تقل أنه اعتدى عليك ! »

- « كانت ثمة مشادة فى البدء ، ثم مال للتعقل .. لكنى لم أخرج بشىء من كلامه .. لا شىء للنشر .. »

ـ « لا أظن هذا .. إن السواد يحيط بعينيك .. وهذا صالح للنشر حتمًا .. لن نستسلم لهذا الإرهاب .. ولأكتبن مقالاً افتتاحيًا عنه غدًا يؤذيه ويفضح أكاذيبه »

حاولت إقناعه بأن يتمهل لأن الرجل غير كاذب .. وليس غشاشًا بحال .. وحكيت له كل شيء .. فقال لى :

ـ « ليكن .. لكنى أريد منك أن تحضر اجتماع الليلة .. إن هذا يجعلنا ننفرد بخبر لن تكتب عنه أية جريدة أخرى شيئًا .. فلا أحد يهتم بـ (والدرون) لأن شهرته ساحقة .. لكننا فقط نعلم أن (تشالنجر) سيكون هناك .. بل سيتكلم كذلك !.. سأحجز لك فراغًا فى العدد حتى منتصف الليل .. »

★ ★ ★

نجحت فى إقناع صديقى (تارب) بعد لأىٍ بأن يصحبنى لحضور محاضرة (والدرون) ..

وفى الموعد كانت القاعة مكتظة بالحضور .. تجمع بين أساتذة الجامعة ذوى اللحى البيضاء وعامة الناس .

وكان هناك كثيرون من طلاب الطب يتبادلون النكات وقد عمّ المكان جو من المرح ..

لهذا ـ حين دخل (تشالنجر) القاعة ليجلس فى موضعه ـ دوت صيحة ترحيب من الجميع .. وأدركت أن سبب تواجد طلاب الطب هو أن خبر قدوم (تشالنجر) قد تسرب بشكل ما ..

دوت بعض ضحكات من الجالسين فى المقاعد الأمامية ذوى الثياب الفاخرة فقد كان صخب الترحاب رهيبًا .. كأنه زئير الوحوش فى أقفاصها حين يدخل الحارس إلى مكانها حاملاً دلو الطعام ..

وشعرت شيئًا من الاستفزاز فى هذا الصخب .. إنهم ينظرون إلى (تشالنجر) كشخص يسليهم أكثر منه شخصًا ينفرهم أو يثير مقتهم ..

لكن الرجل ابتسم فى تحدٍّ .. وجلس نافخًا صدره .

فما إن هدأت الضجة حتى قدم رئيس الجلسة محاضرة (والدرون) ..

وراح الرجل يتحدّث عن تكوين الكون من كتلة غازات ملتهبة ، ثم تيبس هذه الكتلة وتكوين الأرض بجبالها وبحارها .. ثم ظهور الحياة ..

حدثنا عن سلم الحيوانات .. وعن جفاف البحيرات الذى جعل المخلوقات البحرية تلجأ إلى البر حيث الغذاء .. مما أدى لنموها نموًا هائلاً ..

.. كان حديثه شائقًا .. لكنه كان يقترف خطأ الإنجليز الشهير فى كونه يتحدث بصوت غير مسموع .. لماذا لا يبذل الناس الذين يقولون أشياء جديرة بالسماع جهدًا بسيطًا لجعل صوتهم مسموعًا ؟ هذا من أغرب الأمور فى حياتنا المعاصرة ..

تطرق بعد ذلك إلى الزواحف العملاقة التى حكمت الأرض ملايين السنين ، ثم انقرضت قبل ظهور الإنسان على الأرض ..

ـ « سؤال ! »

دوى الصوت من المنصة .. لكن المحاضر لم يكن يهوى المقاطعة ، لذا واصل الكلام .. إلا أن الصوت دوى من جديد :

ـ « سؤال ! »

ومع أن (والدرون) رجل متمرس فى فن المحاضرة إلا أنه عجز عن تحمل المقاطعة بهذا الشكل .. لذا نظر نحو (تشالنجر) صاحب الصوت وهتف :

ـ « إننى أجد نفسى مرغمًا على أن أطالبك يا بروفسور (تشالنجر) بأن تكف عن هذه المقاطعة التى تنم عن سوء أدب ! »

ردّ (تشالنجر) فى هدوء وبابتسامة ناعسة :

ـ « كف أنت أيضًا عن تقرير أشياء غير علمية ! »

سادت الضوضاء القاعة .. لكن رئيس الاجتماع وقف على قدميه وراح يطالب الجميع بالتزام الصمت وترك التعليقات لما بعد ..

واستأنف (والدرون) محاضرته .. لكن الجمهور ظلّ ينتظر نهايتها فى شغف ، ليرى ما سيحدث بين العالمين فى نهايتها ..

وحين فرغت المحاضرة طلب رئيس الجلسة من البروفسور (تشالنجر) أن يقدم تعليقه .. فقال الرجل :

ـ « سيداتى سادتى .. إننى لأوجه عظيم شكرى إلى السير (والدرون) الذى أمتعنا بخطبة مسلية حقًا .. لكنها مفرطة فى الخيال .. لقد أخطأ خطأ جسيمًا عندما افترض أن عدم رؤيته للزواحف العملاقة يعنى أنها غير موجودة .. فأجدادنا القدامى بأشكالهم البدائية المروعة موجودون حتى الآن .. وتلك الزواحف التى تعود إلى العصر الجوراسى موجودة كذلك .. وبشىء بسيط من الجهد يمكن العثور عليها .. »

ارتفعت بعض الأصوات المحنقة تردد :

- « كاذب ! »

قال فى إصرار :

- « لا يهمنى أن أناقش هذه النقطة .. فلن يستطيع بعض الشبان الحمقى وبعض الشيوخ الذين لا يقلون حماقة عنهم أن يقنعونى بأن ما هو حقيقى ليس كذلك .. لقد فتحت بابًا علميًا جديدًا وأنتم تنكرون هذا علىّ .. وإننى لأطالب بأن تنتخبوا واحدًا من بينكم كى يذهب ممثلاً لكم ليتحقق مما أزعمه .. »

نهض المستر (سومرلى) أستاذ تشريح الحيوان المقارن .. وهو رجل ناحل طويل القامة له سيمات علماء اللاهوت .. وطلب من البروفسور معرفة خطوط الطول والعرض لهذه المنطقة التى تعيش بها الزواحف العملاقة ..

قال البروفسور إن المنطقة فى حوض (الأمازون) ولا يستطيع الإدلاء بأى تفاصيل أخرى .. لكنه سيقدم المعلومات كاملة للجنة يختارها الحاضرون .. وهو يرشح البروفسور (سامرلى) أن ينضم إلى هذه اللجنة .

وافق هذا الأخير .. فأسرعت بطلب الانضمام إلى هذه اللجنة لأننى أعتقد أن هذه هى الفرصة التى تحدثت عنها (جلاديس) ..

ثم نهض رجل يدعى لورد (جون ركستون) .. وقال : إنه يعرف (الأمازون) جيدًا وأنه يرحب بالانضمام إلى الحملة ..

قال رئيس الجلسة : إن الحملة يناسبها حتمًا انضمام صحفى ورجل رياضى رحالة مثل اللورد ......

ووافقه بروفسور (تشالنجر) ..

وكذا وسط الصراخ والتهليل تحدد مصيرنا .. ووجدتنى غارقًا وسط التيار البشرى الذى يقود إلى الباب .. بينما عقلى مبلبل بالمشروع الضخم الذى أقدمت عليه .. وسمعت ضحكات ، ورأيت البروفسور (تشالنجر) على الإفريز يلوح بمظلته ليفرق حشد الطلبة الضاحكين الذين التفوا حوله ..

ومشيت فى شارع (ريجنت) مليئًا بالأفكار عن (جلاديس) أتساءل عن مستقبلى ..

هنا شعرت بمن يلمس مرفقى .. فالتفتّ لأجد أننى أحدق فى عينين مرحتين مسيطرتين للرجل الذى تطوع بمصاحبتى .. لورد (ركستون) ..

قال لى :

- « مستر (مالونى) .. أفهم أننا قد صرنا رفيقين .. إن منزلى عبْر الطريق هناك فى (ألبانى) .. لربما تكرمت بأن تعطينى نصف ساعة من وقتك لأن هناك شيئا أو شيئين أرغب فى مناقشتهما معك .. »

* * *

٦ - كنت هراوة الرب ..

وصلنا إلى مسكن اللورد (ركستون) .. ففتح الباب وأضاء النور الكهربى .. كان المناخ بهيجًا ، به ذوق وأناقة .. لكن كل شىء كان يشى بأن الرجل عزب ..

وسط الحجرة كانت ثمة منضدة عليها أقداح وزجاجة شراب .. فنهض ليعد قدحين .. وعاد ليجلس جوارى .. كان أحمر اللون من إثر الشمس والهواء .. وله حاجبان كثان ، وشعر داكن محمر ، وأنف معقوف ..

كنت أعرف الرجل .. فشهرته طبقت آفاق انجلترا .. لكنى لم أره عن كثب من قبل .. خاصة وهو يرمقنى بهذا الإصرار ..

أخيرًا قال :

- « ها نحن أولاء قد فعلناها يا بنى .. لقد قفزنا قفزة كبرى .. وأخالك لم تكن تنتوى شيئا حين دخلت القاعة هذه الليلة .. »

- « بتاتًا .. »

- « وأنا كذلك .. تصور أننى عائد من (أوغندا) منذ أسابيع ثلاثة .. بالمناسبة .. كنت أريد خدمة صغيرة منك .. »

- « بكل سرور .. »

- « إنها مخاطرة .. »

- « ما هى ؟ »

- « إن لى صديقًا فى الحجرة العليا .. أصيب بحمى خطرة جعلته هائجًا منذ الثلاثاء الماضى .. ويقول الأطباء إنه يجب أن يأكل وإلا مات .. المشكلة هى أنه قد جُنَّ تقريبًا .. وهو يحتفظ فوق وسادته بمسدس محشو ، يُقسم بشرفه إنه سيفرغه فى قلب من يدنو منه ! »

- « وماذا ستفعله ؟ »

- « سننقض عليه أنا وأنت .. لن يصيب سوى واحدًا منا إذا أطلق الرصاص ، أما الآخر فسيصل إليه ويقيده .. وعندها ننقذ حياته ! »

وأنا لست شجاعًا .. بل أنا رجل إيرلندى ذو خيال يقظ يضخم الأخطار .. لكننى أخشى الاتهام بالجبن

أكثر .. إننى لأرمى بنفسى فى أى خطر لو أن شجاعتى صارت محك تساؤل .

لهذا برغم خوفى من الوحش المريض بالطابق العلوى ، فإننى أجبت فى صوت هادئ قدر الإمكان أننى موافق ..

وضعت قدحى ونهضت من مقعدى .. ونهض هو معى .. ثم إذا باللورد يبتسم .. ويصافحنى .. ثم يدعونى للجلوس ثانية :

- « مرحى يا فتاى .. أنت تصلح ! »

فنظرت له متسائلاً .. قال مفسرًا :

- « إن رحلة أمريكا الجنوبية هذه شىء خطير .. ولا أريد أن أصحب شخصًا لا أستطيع الاعتماد عليه هناك .. ولهذا عقدت لك هذا الامتحان كى أعرف مدى ثبات جنانك .. ومن الواضح أنك اجتزته بنجاح .. إن الوحيدبن القادرين على الكفاح فى هذه الرحلة هما أنا وأنت .. أما العجوز (سامرلى) فسوف يحتاج إلى مربيَة تعنى به .. هل أنت جيد فى الرماية ؟ »

- « متوسط .. »



وقادنى إلى خزانة من خشب البلوط ليرينى صفوفا من البنادق متراصة بدقة كأنابيب الأرغن ..

- « يا إلهى الرحيم !.. ألِى هذا الحد من السوء أنت ؟.. يجب أن تحسن الرماية فى أمريكا الجنوبية إذا لم يكن البروفسور (تشالنجر) كاذبًا أو مجنونا .. فهذا يعنى أننا سنرى وحوشًا مذهلة .. »

وقادنى إلى خزانة من خشب البلوط ليرينى صفوفًا من البنادق متراصة بدقة كأنابيب الأرغن .. وقال وهو يتأمل إحداها بحنان :

- « كنت أقاتل بهذه النخاسين فى (بيرو) منذ أعوام ثلاثة .. كنت هراوة الرب وقتها فى هذه الربوع .. لقد بدأت هناك حربًا على مسئوليتى الخاصة .. وكل ندبة على جسدى تدل على قتيل من تجار الرقيق .. لقد كان من واجبى أن أحارب من أجل الحق والعدل .. »

ثم نظر لى متسائلاً وهو يناولنى إحدى البنادق :

- « ماذا تعرف عن بروفسور (تشالنجر) ؟ »

- « لم أره قبل اليوم ! »

- « وأنا كذلك .. ومن المضحك أننا سنواجه الأخطار سويًا تحت إمرة رجل نكاد لا نعرفه .. إننى أحب أمريكا الجنوبية حقًا لأنها أكثر بقاع الأرض ثراء

وفخامة .. ثم إنها مجهولة حتى اليوم .. لكنى سمعت كثيرًا من الأساطير ، جعلتنى أومن أن هناك شيئًا حقيقيًا فى تلك البقاع .. إن كل شىء يمكن أن يحدث فى أمريكا الجنوبية .. »

وحين فارقت الرجل أخيرًا ؛ كنت مؤمنًا أننا لسنا واجدين فى انجلترا كلها من هو أرجح دماغًا ولا أكثر شجاعة من هذا الرجل ..

وعدت راضيًا إلى (ماكاردل) رئيس قسم الأخبار، فشرحت له تفاصيل ما حدث ..

واتفقنا على أن أبعث إليه بخطابات دورية من أمريكا الجنوبية أصف فيها تفاصيل رحلتنا .. على أن تنشر أو تحجب حسب ما يتراءى لـ (تشالنجر) ..

* * *

وهكذا يا قرائى لن يكون ممكنًا من الآن فصاعدًا أن أحدثكم مباشرة ، بل ستكون همزة الوصل بيننا هى الجريدة التى أراسلها ..

هـأنذا أكتب هذه السطور على ظهر عابرة المحيطات (فرانشكا) .. وسيقوم القبطان بتوصيلها إلى المرشد ليوصلها إلى مستر (ماكاردل) ..

دعونى أرسم صورة أخيرة ، هى آخر ذكرى للبلد الذى أحمله معى .. إنها صورة صباح ضبابى فى نهاية الربيع .. ومطر بسيط ينهمر .. بينما يمشى البروفسور (سومرلى) بقامته الفارعة ووجهه المكتئب فوق ظهر العابرة .. ويقف لورد (جون روكستون) شارد الذهن ..

البروفسور (تشالنجر) ينادينا من الميناء صائحًا :

ـ « أرجو ألا تظنوا أننى مدين لكم بأى شىء مقابل قيامكم بهذه الرحلة !.. إن الموضوع لا يعنينى أساسًا .. إن الحقيقة العلمية هى الحقيقة العلمية .. تعليماتى ستكون فى مغلف ، عليكم ألا تفتحوه إلا فى (ماناوس) على نهر الأمازون .. بالنسبة لك يا (مالون) فإن كل ما أطلبه هو ألا تنشر على الناس شيئًا قبل عودتك للوطن .. »

وتحركت العابرة مغادرة الميناء .. »

فليكتب الله لنا العودة إلى وطننا سالمين ..!

* * *

٧ - غدًا نختفى فى المجهول ..

لن أثير سأم من يقرءون قصتى بوصف رحلتنا على عابرة المحيطات .. أو إقامتنا أسبوعًا فى (بارا) وإن كنت أودّ أن أزجى الشكر لكرم شركة (بيريرادو بنتا) التى أسدت لنا معونات كبيرة .. ولا عن رحلتنا عبْر النهر فى زورق بخارى حتى وصلنا إلى (ماناوس) ؛ حيث صار بوسعنا أن نفتح خطاب البروفسور (تشالنجر) ..

والآن سأتحدث بحرية تاركًا تنقيح الكلام لك يا مستر (كماردل) ..

سأترك الكلام عن صديقىَ الأبيضين ، لأن القارئ سيعرف عنهما وعنى أكثر كلما تقدمت القصة .. لكننا كنا قد ضممنا بعض المرافقين سيلعبون دورًا غير صغير فى الأحداث التالية ..

أولهم : عملاق زنجى .. هرقل أسود مطيع كحصان ، يتكلم بعض الإنجليزية ، واسمه (زامبو) .. ثم كان لدينا هجينان من أعلى النهر .. رجلان ملتحيان يوحى شكلهما بالشراسة ..

كان الهجين الأول يدعى (جومز) .. ويتحدث الإنجليزية بطلاقة ..

ثم ألحقنا معنا ثلاثة هنود حمر من (بوليفيا) من قبائل (الموجو) .. وهم يجيدون صيد الأسماك وأعمال القوارب .. وزعيمهم يدعى (موجو) على اسم قبيلته .. أما زميلاه فيدعيان (خوزيه) و (فرناندو) ..

ثلاثة بيض .. هجينان .. زنجى .. ثلاثة هنود .. هذا هو قوام المجموعة التى بدأت تتحرك للقيام بحملتها الغريبة ..

وها نحن أولاء جالسون فى قاعة الجلوس فى دار مستر (شورتمان) نصغى لأصوات الحشرات الاستوائية .. وعلى المنضدة خطاب البروفسور (تشالنجر) الذى أوصانا بعدم فتحه إلا فى (ماناوس) يوم ١٥ يوليو عند الظهيرة ..

حان الوقت فتناول لورد (جون) المظروف وفتحه بمبراته .. أخرج من داخله صفحة بيضاء .. ففتحها ليجد أنها ورقة بيضاء من دون سوء .. تبادلنا نظرات غير مفهومة .. وقال البروفسور (سامرلى) ساخرًا :

- « لقد قضى الأمر !.. هو ذا (تشالنجر) يعترف

بكل صراحة أنه كاذب أو مجنون .. دعونا نعد إلى الوطن الآن لنعلن على الناس أن (تشالنجر) نصاب »

كدنا نتبادل الجدال حين سمعنا هديرًا من الشرفة ..

كان هذا صوت رجل يدخل إلى المكان ..

رجل قصير القامة .. ضخم الرأس .. عريض الكتفين ..

وهبنا واقفين حين رأينا (تشالنجر) يدخل إلى الغرفة .. وعلى رأسه قبعة من القش .. وبصوته الغليظ صاح :

ـ « يؤسفنى أن تأخرت عن موعدى .. كنت أنوى أن أكون بينكم قبل هذه الساعة .. وبالتالى لا تعود بكم حاجة لفتح المظروف ! »

قال لورد (جون) :

ـ « إن ظهورك يا سيدى قد أعاد الارتياح إلى نفوسنا بعد ما ظننا أن مهمتنا قد انتهت عند هذا الحدّ .. فلم يكن أحدنا قادرًا على فهم هذا التصرف »

تقدّم (تشالنجر) فصافحنا جميعًا فى مودة .. ثم ألقى بجسده الثقيل فوق أحد المقاعد وتساءل :

ـ « هل الرحلة معدة ؟ »

ـ « يمكن البدء غدًا .. »

ـ « حسن .. لا داعى لوجود تعليمات مادمت سأشرف هذه الرحلة بأن أقودها بنفسى على الطبيعة .. الواقع أننى لم أرد أن أصحبكم من البداية ، لهذا لجأت إلى هذه الحيلة الصغيرة حتى لا تصروا على أن أكون معكم .. »

قال لورد (سامرلى) فى إخلاص :

ـ « ما كنت لأطلب هذا يا سيدى .. مادامت هناك سفينة أخرى عَبْر الأطلنطى ! »

لوّح (تشالنجر) نحوه بيده الغليظة المشعرة .. وأردف :

ـ « أنتم الآن فى يد أمينة .. وأجد نفسى مطالبًا إياكم بإتمام جميع التجهيزات هذه الليلة بالذات ، لأننا سنتحرك فى ساعة مبكرة من الصباح .. إن وقتى ثمين .. على الأقل هو أثمن من وقتكم جميعًا ! »

إن نهر الأمازون مناسب للملاحة تمامًا حين تكون الرياح الجنوبية الشرقية هى المسيطرة .. وبهذا تستطيع السفن الشراعية أن تصعد إلى المنبع .. وعند العودة تكتفى بالهبوط مع مجرى الماء ..

وهكذا أبحرنا فى النهر فوق زورق بخارى كبير ، عَبْر أحد روافد النهر الفرعية .. حتى وصلنا إلى إحدى قرى الهنود ..

ثم استأجرنا من القرية قاربين (الجلد المشدود على هيكل من البامبو) من النوع المسمى (Canoe) ويمتاز بخفته الشديدة التى تمكنك من حمله عند عبور أى عائق ..

وجعلنا البروفسور نقسم بشرفنا على عدم ذكر أية علامات تدل على مكان الكشف .. لهذا ألتزم بالغموض فى سرد قصتى .. وأنذر قرائى أننى سأكون دقيقًا فى الخرائط التى أرسمها فقط فيما يخص علاقات الأشياء ببعضها .. لكننى قد قمت بتشويش إحداثيات البوصلة تمامًا حتى لا يستخدمها أحد فيما بعد ..

ولا أدرى هل هذا من حق البروفسور أم لا .. لكننا لم نكن نملك الخيار ..

بعد هذا استعنا بهنديين اسمهما (آتاكا) و(اييتو) .. وأعتقد أنهما كانا نفس الملاحين اللذين صاحبا البروفسور فى رحلته الأولى ..

وغدًا نختفى فى المجهول ..

من يدرى ؟ قد تكون هذه الكلمات هى آخر ما تسمعه منى يا مستر (ماكاردل) ..

★ ★ ★

٨ - المعالم الخارجية للعالم الجديد ..

سيطرب رفاقنا فى الوطن حين يعلمون أننا فى السبيل لهدفنا .. وأننا أثبتنا أن آراء بروفسور (تشالنجر) قابلة للتحقق منها ..

أرسل هذه الرسالة للوطن مع أحد الهنود المرافقين لنا بعد أن أصابه جرح .. وبالتالى هو عائد إلى الحضر .. لكنى لست واثقًا مما إذا كان هذا الخطاب سيصل أم لا ..

لقد غادرنا القرية الهندية وركبنا القاربين .. وتوخينا واجب الحرص فجعلنا كلاً من العالمين المرافقين لنا فى قارب منفرد ..

واستمرت الرحلة يومين فى مياه داكنة شفافة .. ونهر عرضه مئات الياردات .. وعلى الضفتين كنا نرى أشجارًا لم أصدق قط أنها بهذا الحجم الذى يفوق كل معلوماتى عن علم النبات .. لكن العالمين كانا يعرفان اسم كل شجرة هنا .. وإن لم يخفيا انبهارهما .

كانت الظلمة هائلة بسبب غابة الأشجار الكثيفة ..

لهذا كان كل نبات يحاول الوصول إلى أعلى ليحظى بقسط من الضوء ..

وكنا نسمع صراخ القردة فى وقت الفجر .. أما فى النهار فكان طنين الحشرات يفعم آذاننا بصوته الرتيب المستمر .. فيما عدا ذلك ، لم يكن ثمة دليل على وجود حياة بشرية فى هذه الأصقاع ..

على أنه فى اليوم الثالث سمعنا صوتًا غريبًا يتردد .. ونظرنا إلى الهنود متسائلين ، فلم نر سوى علامات الذعر على وجوههم ..

لكن اللورد (جون) قال فى هدوء ولامبالاة :

- « إنها دقات طبول الحرب .. إن هؤلاء الهنود يراقبوننا طيلة الوقت ، ولسوف يقتلوننا حين تسنح الفرصة ! »

واستمر الصوت أيامًا .. من ست أو سبع طبول .. وميزنا أن الصوت يأخذ أحيانًا سرعة غير عادية وأحيانًا يأخذ شكل سؤال وجواب .. لكنها كانت تردد دومًا :

- « سنقتلكم حين نستطيع !.. سنقتلكم حين نستطيع ! »

كان الصوت يهز أعصابنا طيلة النهار .. لكنى وجدت أن البروفسورين العجوزين اللذين يصاحباننا على مستوى عال من قوة الأعصاب .. إنها شجاعة العلماء .. كانا غارقين فى ملاحظة كل طائر وكل شجرة ، كأن التهديد لا يخصهما .. وكأنهما يدرسان فى إحدى قاعات لندن ..

وفى فجر اليوم التالى بدأت أصوات الطبول تخفت تدريجيًا .. وعرفنا أننا نبتعد عن الهنود رويدًا ..

* * *

عبرنا مسقطًا مائيًا صغيرًا يبدو أنه المسقط الذى انقلب فيه قارب البروفسور فى رحلته الأولى ..

وبعبورنا لهذا المسقط قطعنا نحو مائة ميل من ذلك الرافد ، مبتعدين عن النهر الأساسى ..

وعند الفجر كان البروفسور (تشالنجر) يتفحص جانبى النهر فى قلق .. فجأة صاح فى رضا وهو يشير إلى شجرة مفردة جوار المجرى .. وسأل :

- « ما هى هذه الشجرة ؟ »

قال البروفسور (سامرلى) :

- « هى نخلة بالتأكيد ! »



وصرنا نشق دربنا باستعمال المدىّ ! ..

- « هذه هى علامة الطريق .. إن الممر السرى يبعد نصف ميل عن هنا .. إن بوابة المجهول تنتظر أن نوغل فيها .. »

وبعد قليل كان أمامنا أروع واد مسحور رأيناه فى خيالنا .. فوق الرءوس تلتقى النباتات صانعة ممرًا .. وضربات المجداف ترسل أمواجًا لا تصدق فوق الماء .. الماء الذى شف حتى لترى بوضوح ما فيه من كائنات ..

ولم يكن هناك هنود .. لقد كانوا يهابون (الكوروبورى) ..

كان الماء يزداد ضحالة ، فلم يعد بوسع القاربين أن يستمرا أكثر .. قمنا بإخفائهما بين الأشجار وحملنا متاعنا على أكتافنا ، ورحنا نخوض المجرى راجلين وسط البعوض والحشرات المجنَحة ..

تدريجيًا تفقد الغابة طابعها الاستوائى .. الأشجار تصغر ببطء إلى أن تغدو شجيرات .. ثم يغدو نبات الخيزران هو السائد .. وصرنا نشق دربنا باستعمال المدىَ .

أخيرًا وجدنا واديًا ضيقًا وراءه تل .. وكان علينا أن نجتاز هذا التل ..

ثم اجتزنا تلاً ثانيًا .. عندها وجدنا أمامنا حاجزًا من الصخور الحمراء الشامخة .. الصخور التى رسمها الأمريكى فى كراسه ..

هنا بلغت الحماسة بـ (تشالنجر) مبلغها .. إنه يسير جيئة وذهابًا كأنه ديك رومى متغطرس ..

أما بروفسور (سامرلى) فتقبل الأمر فى شك ..

والآن عزيزى القارئ لقد أخذتك معى عَبْر النهر وفى النفق الأخضر وبين أشجار النخيل .. وهو ذا هدفنا ينتظر أمامنا ..

لقد جرح (خوزيه) فى ذراعه بعود (بامبو) مكسور .. من ثم صار عليه أن يعود .. وقد وضعت هذا الخطاب بين حاجياته آملاً أن يصل إلى وجهته ..

ومع الخطاب وضعت رسمًا مبسطًا لرحلتنا عسى أن تجعل فهم مسيرتنا أكثر وضوحًا ..

* * *

٩ - من كان بوسعه التنبؤ بهذا ؟

لقد حدث شىء مروع لنا .. ولكن من كان بوسعه التنبؤ بهذا ؟.. يبدو أن علينا أن نقضى باقى حياتنا فى هذا المكان الموحش .. إننى لمُرْتبك حتى أننى عاجز عن التفكير فى حقائق الحاضر أو فرص المستقبل .. فأحدهما مخيف والآخر أسود كالليل ..

نحن بعيدون عن أى عون بشرى ، كما لو كنا على القمر .. ولولا رؤية وجوه رفاقى التى لم يتطرق إليها اليأس لمُت كمدًا ..

إن القمة التى تكلمت عنها كانت ترتفع فى وجوهنا أكثر من ألف قدم على الأقلِ فى بعض المواضع .. بحيث يغدو تسلقها عسيرًا حقًا ..

ومن بعيد كنت أرى الصخرة هرمية الشكل .. وفوق قمتها شجرة عالية ..

قال (تشالنجر) :

- « رأيت (التيروداكتيل) فوق هذه الشجرة .. وأطلقت عليه الرصاص فسقط .. كان ذلك فى رحلتى السابقة .. »

ثم أردف :

- « لقد حاولت أن أتسلق الحاجز الصخرى بكل طريقة ممكنة دون جدوى .. إننى استطعت تسلق الصخرة الهرمية لكنى وجدت بعدها هاوية تفصل بينها وبين الهضبة .. وبالتالى لن تكون عونًا لنا فى اجتياز حاجز الصخور هذا .. لكنى ارتدته فى رحلتى السابقة لمسافة ستة أميال شرقًا .. »

قال البروفسور (سامرلى) :

- إذن يمكننا تتبع الحاجز نحو الغرب بحثًا عن طريق يمكن تسلقه ..

قال البروفسور (تشالنجر) :

- « على كل حال .. من المؤكد أنه لا يوجد طريق سهل لاجتياز الصخور .. وإلا ما صارت هذه الهضبة معزولة عن العالم الخارجى .. ولكان العالم كله يعرف هذا الموضع .. لكننا سنبحث عن موضع يستطيع متسلق جبال أن يعبر منه ولا يستطيع حيوان أن يفعل الشىء ذاته ليخرج »

قال الأستاذ (سامرلى) فى ازدراء :

- « أنت لم تنفك تتحدّث عن الحيوانات .. وأنا لم أر أى دليل على وجودها حتى هذه اللحظة .. »

هنا جذبه (تشالنجر) من عنقه ليشير له إلى أعلى الحاجز الصخرى ويصيح :

- « هذا هو الدليل على وجود حيوانات ! »

وعلى حافة الحاجز الصخرى رأينا ما بدا لنا كعنق ثعبان هائل الحجم له رأس غريب .. راح ينظر ببطء يمينًا ويسارًا ثم انزلق ليتوارى وراء الصخور

هنا هتف بروفسور (سامرلى) فى ضيق :

- « ليتك تبدى ملاحظاتك دون لىّ عنقى يا بروفسور (تشالنجر) .. فأنا لا أرى ما يستحق كل هذا الصخب لدى رؤيتك ثعبانًا عاديًا جدًا »

- « لكن هذا يثبت لك وجود حيوانات .. »

وواصلنا تقدمنا إلى الغرب باحثين عن ثغرة فى الحاجز ..

كانت هناك آثار معسكر قديم .. علب لحم محفوظ .. وجريدة يومية بالية .. فقال (تشالنجر) وهو يتفحص البقايا :

- « ليست آثارى .. إنها آثار (مابل وايت) حتمًا »

وواصلنا مسيرتنا فى صمت حول الحاجز الصخرى .

وبعد أميال خمسة رأينا سهمًا مرسومًا بالطبشور يشير إلى الغرب ..

فهتف البروفسور (تشالنجر) :

- « (مابل وايت) !.. لقد ترك هذه العلامات لمن يأتى بعده .. لقد كان لديه صندوق طبشور بين حاجياته .. وكان إصبع اللون الأبيض ناقصًا .. »

واستمر السير غربًا .. حتى وجدنا سهمًا آخر .. لكنه كان يشير إلى أعلى .. إلى شق ضيق بين الصخور ..

وصعدنا فى هذا الشق .. فوجدنا فتحة كهف ..

دخلنا الكهف مستعينين بضوء بطارية يحملها اللورد (جون) .. وكانت الأسهم تملأ المكان مما دلنا على أن (مابل) عبر حاجز الصخور عن طريق هذا الكهف .. لكن للأسف كانت نهاية الكهف مسدودة بانهيار صخرى ..

حشد من الصخور هناك جعل من المستحيل الوصول من هذا الطريق ..

وكاسفى البال أقمنا معسكرنا .. وقررنا أن من الحكمة أن نواصل البحث غربًا بحثًا عن طريق آخر .

على أن حادثًا معينًا حدث فى تلك الليلة جعلنا نسلم للبروفسور (تشالنجر) بصدقه ودقته العلمية ..

كنا نشوى بعض اللحم على النار وقد احتشدنا حول الشعلة .. وفجأة برز من ظلام الليل طير هائل الحجم له جناحان جلديان .. ولثانية لمحت عينيه الحمراوين وعنقه الطويل كثعبان .. ومنقاره هائل الحجم المزدان بأسنان حادة لامعة ..

وقبل أن نعى ما يحدث ؛ حلق الطائر وبين فكيه عشاؤنا ..

وأدركا من اتساع جناحيه أن عرضه أكثر من عشرين قدمًا .. واختفى وراء حاجز الصخور ....

كان هذا هو (التيروداكتيل !

ساد الصمت برهة .. ثم بصوت منفعل هتف (سامرلى) :

- « أنا مدين لك بالاعتذار أى بروفسور (تشالنجر) .. أرجو أن تنسى تشككى فى كلامك .. »

وهكذا اصطلح الرجلان .. وإن لم يعزنا هذا كثيرًا عن ضياع عشائنا ....

* * *

بدأ الحاجز الصخرى يتخذ اللون البنى وقد كان شديد الحمرة .. لكننا ظللنا عاجزين عن العثور على وسيلة نعبر بها إلى الداخل ..

وكنا نعرف جيدًا أن الحاجز الصخرى مغلق .. يدور بنا ببطء عائدين إلى حيث بدأنا .. لهذا لم نعجب حين وجدنا أننا عدنا إلى معسكرنا الأول جوار الصخرة الهرمية ، وذلك فى اليوم السادس .. وهكذا أسقط فى يدنا !

ساد الوجوم وكففنا عن تبادل الكلام .. وأخلدنا للنوم تاركين (تشالنجر) أمام النار يفكر .. يفكر بعمق ...

وفى الصباح كان قد وجد حلاً جيدًا .. الصخرة الهرمية ..

- « لكن بين الصخرة والهضبة هاوية مريعة .. وأنت بنفسك قلت ... »

- « سنصعد لقمة الصخرة .. وبعدها سترون .. »

وهكذا ...

بدأنا التسلق .. ويا لها من مهمة مرهقة .. لكنها تمت على كل حال .. ووقفنا جميعًا على قمة

الصخرة الهرمية نرمق السهل الممتد تحت أقدامنا .. وكان حاجز الصخور الرهيب على نفس مستوانا .. لكن تفصلنا عنه هاوية اتساعها أربعون قدمًا .. ينبغى اجتيازها لا أدرى كيف ..

وكان (تشالنجر) يعرف ما سيفعله ..

كانت فكرته هى اقتطاع الشجرة الشامخة التى كان (التيروداكتيل) يقف عليها - وطولها ستون قدمًا - ليجعل منها معبرًا فوق الهاوية ..

وقمت بقطع الشجرة ثم أملناها لنجعلها تسقط .. وتثبت قمتها فوق الجانب الآخر من الهضبة ..

إن الشجرة قد صارت جسرنا إلى المجهول ..

هنأنا البروفسور (تشالنجر) على صواب رأيه .. فانحنى لنا وهو يرفع قبعته القشية .. ثم أعلن أنه سيكون أول من يعبر إلى هذه الأرض المنسية .. لكن لورد (جون) أبدى خشيته من أن يكون هناك خطر داهم ينتظر أول العابرين .. لذا اقترح أن يحضروا البنادق الأربع و (جوميز) وصاحبه .. على أن يعبر واحد الجسر فى كل مرة ويحمى الآخرون ظهره بالبنادق ..

وبعد اتخاذ الاحتياطات عبر (تشالنجر) الهاوية وقد امتطى الجذع كأنه ظهر حصان .. ووقف فى الجهة الأخرى يلوح بذراعيه صائحًا ..

بعد هذا عبر البروفسور (سامرلى) الهاوية ..

ثم جاء دورى وأنا أحاول مقاومة الدوار الشديد .

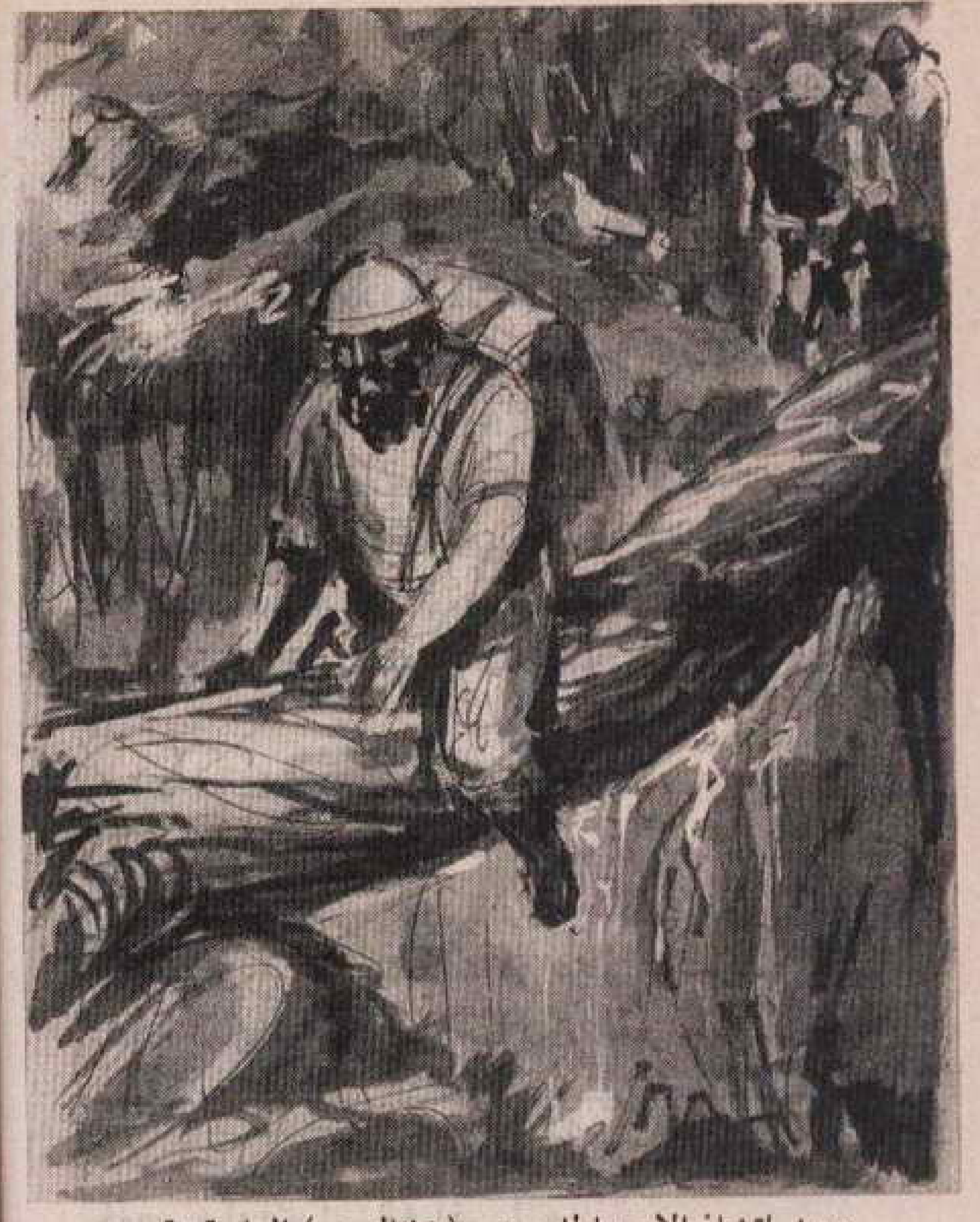
بعد هذا عبر اللورد (جون) الهاوية ماشيًا على قدميه بأعصاب فولاذية ..

وأخيرًا صرنا أربعة على مشارف العالم الجديد .. لقد انتهت متاعبنا .. أم هى بدأت لتوها ؟

صوت فرقعة عالية .. فنظرنا للوراء لنجد الجسر قد انهار !

لقد هوت الشجرة فى الهاوية .. وفوق الصخرة رأينا (جوميز) يضحك فى تشف هاتفًا :

- إنها نهايتك يا لورد (روكستون) أيها الكلب الإنجليزى !.. لقد انتظرت فى صبر عظيم حتى أجد لحظة كهذه توقعك فى مأزق لا مفر منه .. والآن ستبلى عظامكم فى الشمس .. وحين تموت أرجو أن تذكر (لوبيز) تاجر الرقيق الذى قتلته أنت منذ خمس سنوات !.. إنه أخى ! »



وبعد اتخاذ الاحتياطات عبر (تشالنجر) الهاوية وقد امتطى الجذع كأنه ظهر حصان ..

وراح يهبط الصخرة مقهقهًا ..

لكن رصاصة اللورد (جون) عاجلته فصرخ .. وتدحرج ميتًا ...

هنا حاول الهجين الآخر أن يهرب .. لكن خادمنا الزنجى (زامبو) ركض وراءه وانقض عليه .. ليخنقه بديه القويتين ...

وصعد (زامبو) إلى القمة ليعلن لنا أنه لن يتركنا .. إنه هو همزة الوصل الوحيدة بيننا وبين العالم الخارجى ..

رمينا له الحبال كى يربط فيها المؤن .. ووعدنا بأن يعود غدًا صباحًا ليعرف ما نريد منه ....

وهكذا نجلس نتناول عشاءنا صامتين ..

وغدًا نبدأ مغامرتنا فى هذا العالم الغريب .. العالم المفقود ..

* * *

١٠ - أشياء رائعة حدثت ..

أشياء رائعة حدثت وما زالت تحدث لنا ...

سأحاول أن أدون هذه الأحداث ما دمت قادرًا على تحريك يدى .. برغم أننى لا أملك إلا خمس أوراق وكثيرًا من القصاصات .. وقلمًا واحدًا من الرصاص ..

لا أدرى هل سيحمل (زامبو) هذه الرسائل إليكم أم لا .. لكنى سأودن كل شىء ها هنا على كل حال ..

قمنا فى الصباح بتغيير موضع المعسكر بحثًا عن مكان أقل سخاء فى الحشرات .. وجاء (زامبو) الأمين ليقذف إلينا بعدد من صفائح المؤن التى تحوى البسكويت والشيكولاتة ..

كانت مؤننا جيدة وافرة .. وبنادقنا بحالة ممتازة .

وقد قمنا بجردها وبنينا ما يشبه حصنًا صغيرًا يصلح للسكنى والاحتماء ..

ثم قررنا أن نطلق اسمًا على هذا الموضع .. فقال (تشالنجر) :

- إنه ليس هذا الحق إلا لشخص واحد هو الذى اكتشفه أول مرة .. سنسمى هذه الهضبة باسم هضبة (مابل وايت) ..

وكان أن اتفقنا على هذا الاسم .. ولسوف تراه كثيرًا عزيزى القارئ فى الرسوم التخطيطية التى أعرضها عليك فى هذه القصة ..

كنا نتوقع الخطر .. خطر المخلوقات الرهيبة التى رسمها (مابل وايت) .. وخطر بشر قد يكونون موجودين هنا .. لهذا تسلحنا جيدًا .. وأحكمنا إخفاء معسكرنا ثم شرعنا نستكشف المكان فى حذر ..

وصلنا إلى منطقة تملؤها الأوحال .. وفجأة هتف لورد (جون) :

- انظروا ..

كانت هناك آثار أقدام ضخمة فى الوحل .. أقدام لها ثلاثة أصابع .. أقربه إلى أثر تتركه قدم نعامة عملاقة فى الأرض ..

لكن ما بدا لنا كأثر طائر عملاق ؛ بدأ يثير ريبتنا حين اختلط بآثار أقدام خماسية الأصابع ..

قال (تشالنجر) فى جدية :

ـ « هذا أثر مخلوق له قدمان خلفيتان ثلاثيتا الأصابع يمشى عليهما .. وقدمان أماميتان خماسيتا الأصابع يرتكز عليهما أحيانًا .. إنه ليس طائرًا يا سادة ! »

ـ « وما هو فى رأيك ؟ »

ـ « لا يوجد سوى شىء واحد يترك أثرًا كهذا .. الزاحف .. إنه ديناصور يا سادة .. ديناصور مشى فى هذا الموضع منذ عشر دقائق ! »

واستحالت كلماته همسًا فوقفنا ذاهلين ...

وعبرنا بعض الشجيرات لنصل إلى أرض مكشوفة .. فى قلبها خمسة من أغرب المخلوقات التى رأيتها فى حياتى ..

كانت أحجامها هائلة .. الصغار كانت فى حجم الفيلة .. أما الكبار فحجمها لا يوصف .. ولا يمكننى أن أصفها للقارئ إلا بأنها حيوانات تشبه الكانجارو مع فارق الحجم .. وجلودها تشبه جلود التماسيح أو قشور الأسماك .. وكانت تلتهم أوراق الأشجار فى جشع ...

كان منظرًا لا يصدق ...

ولبثنا نرمقه مطمئنين لاتجاه الريح ولاختفائنا .. لكن لورد (جون) كان يقاوم رغبة جامحة ـ كبتها لحسن الحظ ـ فى صيد واحد من هذه الوحوش ليعرضها على أندية (لندن) ...

همس (سامرلى) فى انبهار :

ـ « ماذا سيقولون عن هذا فى لندن ؟ »

قال (تشالنجر) :

ـ « سيقولون أننا نصابون وصورنا مزورة .. هذا هو كل شىء ! »

ـ « ولكن ..... »

ـ « نحن فقط نعرف أنه فى يوم ٢٨ أغسطس رأينا خمسة من (الإيجانودون) فى وادى (مابل وايت) .. فلنذكر هذا التاريخ يا سادة .. »

وتركنا المشهد المهيب ، وواصلنا اختراق الغابة .. وكان العالمان يقفان من حين لآخر مشدوهين أمام زهرة غريبة أو حشرة لم يعرفها العلم من قبل ..

وهنا سمعنا صوتًا يشبه الصفير .. فتوقفنا وراء بعض الصخور ..

نظرنا بحذر لنرى ما هنالك فوجدنا سهلاً ممتدًا ..

مليئاً بالمستنقعات التي اخضر ماؤها

أما ما أثار هلعنا فهو (مئات من طيور (التيروداكتيل) تطير هنا وهناك .. وتحدث ضوضاء مروعة ورائحة مقززة .

وفي ركن من المكان كانت الإناث يرقدن على البيض .. على حين وقف الذكور يحرسون المكان كالتماثيل ..

راح العالمان يتجادلان في حماس حتى نسيا واجب الحذر .. برز رأس (تشالنجر) فوق الصخور .. وعلى الفور دوت صرخة حادة من أحد الذكور .. وحلق في الهواء .. وهنا تبعه مائة من الذكور الباقين على الأقل ...

ورأينا الوحوش تحلق حولنا مستطلعة .. مرفرفة بأجنحتها الجلدية ..

ثم ازدادت دنواً منا حتى كادت تلمسنا ..

كدنا نفر إلى الغابة لكن الطيور الزاحفة كانت قد حاصرتنا بالفعل ..

وبرزت الرءوس والأسنان الحادة .. ورأيت البروفسور (سامرلي) يصرخ .. ثم لمحت الدم ينزف من وجهه

.. وسقط البروفسور (تشالنجر) أرضاً .. وتلقيت عديداً من ضربات الأجنحة في مؤخرة عنقي ..

ودوت طلقة من لورد (جون) فهوى أحد هذه الطيور المجلولة يتشحط في دمه .. وكانت في هذا فرصة لا بأس بها حيث ارتفعت الطيور قليلاً ..

رحنا نركض إلى الغابة والعدو يطاردنا في عناد .

واحتمينا بين الفروع المتشابكة فراحت الوحوش تصرخ في عصبية .. وتحاول الوصول لنا لكن حجمها لم يتيح لها المرور ..

وتوغلنا أكثر داخل الغابة قاصدين معسكرنا .. حتى لم نعد نسمع شيئاً من صراخ هذه الكائنات المجنونة ..

كان البروفسور (تشالنجر) سعيداً وهو يغسل جراحه .. وهتف :

« إنها لدراسة ممتعة عن عادات (التيروداكتيل) في بيئته الطبيعية ! »

راح كل منا يضمد جرحه .. وكان أبلغنا إصابة هو (سامرلي) .. قال لورد (جون) :

- « كانت ميتة قذرة نجونا منها بأعجوبة ..
ما كنت لأتصور أن أموت بمناقير هذه الزواحف
المجنحة .. »

وقصدنا المعسكر متوقعين أن متاعبنا لهذا اليوم قد
انتهت ....

لكننا وجدنا شيئًا أثار ريبتنا ...

كان هناك من زارنا .. فروع الشجرة التى تظلل
المعسكر جعلتنا نعرف أن زائرًا عملاقًا قام بالزيارة
فى أثناء غيابنا .. وقد فتحت صفائح اللحم المحفوظ
بوحشية وتم تفريغها ...

وشرعنا نرمق فروع الأشجار فى هلع .. فالخطر
قد يكون هناك متربصًا بنا .. لكن الزائر كان قد
رحل ...

وجلست أدخن وأدون أحداث اليوم .. حين جاء
لورد (جون) ليسألنى فى لهجة حازمة :

- « لقد كانت الطيور فى حفرة بركانية .. أليس
كذلك ؟ »

- « بلى .. تربتها تميل للزرقة .. وهى إلى الفخار
أقرب .. لماذا تسأل ؟ »

- « لا شىء .... »

وانصرف .. فلم أفهم ما يعنيه بالضبط .. لكنى
سمعته يغمغم لنفسه قبل أن ينام :

- « فَخَار أزرق فى حفرة بركانية ! »

كان هذا آخر ما سمعت قبل أن أغيب فى نوم
عميق ...

★ ★ ★

١١ - كنت البطل لمرة واحدة

كانت عضات الطيور مسمومة حتمًا .. لأننا صحونا فى الصباح - (سامرلى) وأنا - لنجد أننا نعانى الحمى وألمًا فى العضلات ..

لهذا قضينا اليوم كلـه فـى معسكرنا .. وراح لـورد (هنرى) يحاول تعلية الأسوار بأغصان الأشجار .. وهو جهد عرفنا جدواه فى تلك الليلة ...

كنا نيامًا حول النار .. حين دوت صرخات لا يمكـن وصفها .. صرخات مريعة جدًا .. واضطررنـا إلـى أن نسد آذاننا لنجنبها هول الصوت ..

عندها دوت ضحكة هائلة مجلجلـة كأنما تـرد على صرخات الألم هذه ...

وجد دقائق ساد الصمت ...

أعاد لـورد (هـنرى) إشـعال النـار لنتمكـن مـن الرؤية أفضل .. وبعد ثوان سمعنا صوت خطوات تهزّ الأرض هزًا .. كانت تدنو نحو مدخل المعسكر وسمعنا صوت لهاث عاليًا ...

مال لورد (هنرى) على السور مصطنعًا فتحة بين الشجيرات .. وهمس :

- « يا ألله !.. إننى أراه ! »

ففى ظلال الأشجار كان هناك ظل أكثر كثافة .. لكنه مفزع يفيض بالوعيد والتحرش .. كان ارتفاعه كالحصان لكنه أقوى .. وأدركنا من حركته أنه يتقدم .. وفى هلع هتفت :

- « إنه سيثب من فوق السور ! »

قال لورد (جون) :

- « لا تلمس الزناد ! »

- « إلى متى ؟ »

- « لنبق إطلاق الرصاص إلى اللحظة الأخيرة .. إن إطلاق رصاصة فى هذا السكون سيعلن عن وجودنا للجميع .. »

وهرع ليقتبس جذوة من النار .. وانطلق ليثب فوق السور .. ثم يدفع بالغصن المتشعل فى وجه مهاجمنا الذى لم ير النار من قبل ..

لم يكن واحد منا قادرًا على تخيل مدى شجاعة هذا الرجل ..

لكن الوحش تراجع للوراء .. ثم فرّ مبتعدًا ...

عاد لورد (جون) يثب إلى داخل المعسكر .. وقال :

- « كـان هـذا هو الحـل الوحيـد .. إن إطـلاق الرصاص عليه كان سيجلب الهول على رءوسنا .. ولكن ما اسم هذا المخلوق ؟ »

تبادل العالمان النظرات .. ثم قال (تشالنجر) :

- « لا أملك سوى القول إنه ديناصور آكل للحـم .. على كل حال ينبغى أن نواصل نومنا لأن يومًا شاقًا ينتظرنا .. »

قلت فى هلع :

- « يجب تنظيم ورديات للحراسة .. فالخطر أكثر مما نتوقع .. »

★ ★ ★

فى الصباح وجدنا مذبحة فى الغابة حيث رأينـا بالأمس حيوانات (الإجوانـودون) آكلة العشـب .. تناثرت الأشلاء والدماء فى كل صوب .. وأدركنا أن الحيوان الذى هاجمنا أمس هو القاتل ..

واقترح العالمان أن يكون اسم الحيوان السـفاح (ميجالوسوروس) ..

أما ما أثار دهشتنا بالتحديد فهو دائرة غريبـة سوداء على مكان كتف الحيوان القتيل .. وبالتأكيد لم

يجد أى منا تفسيرًا لهذا الشىء الغريب ...

على أننا فى الأيام التالية رسمنا خريطة لا بأس بهـا للهضبـة .. وإن تحاشـينا موطـن طيـور (التيروداكتيل) الشرسة ..

كان البروفسور (سامرلى) متحفظًا بشأن إمكانية رسم خريطة للمنطقة ، لأن تشـابك الأشجار يجعل استكشافها عسيرًا ..

هنـا عرضت أن أتسلق إحدى الأشجار العملاقـة لتكون برج مراقبة لـى يشرف على الهضبة كلها .. وبالتالى أرى كل شىء بوضوح .

راقت الفكرة للجميع ، وبرغم أن النهار كـان يُحتضر فلم تبق منه سوى ساعة واحدة .. إلا أن الفكرة يمكن تنفيذها حالاً ..

وبدأت التسلق .. وشعرت أن الأرض تتوارى خلف أوراق الأشجار الكثيفـة .. ونظرت لأعلى فوجدت الشجرة ما زالت شامخة ..

واصلت الصعود ..

وفجأة لمحت وجهًا يحملق فى وجهى من وراء أحد الأغصان !..

لم يكن وجه قرد .. له حاجبان كثان يغطى عينين ضاريتين متوحشتين .. وفيهما كراهية شديدة ..

بعدها اختفى الوجه بين الأوراق الكثيفة ..

صحت .. فسألنى رفاقى عما هنالك

لم أجد داعيًا للتفسير فلذت بالصمت .. وواصلت الصعود

ازداد هبوب الهواء حولى فعرفت أننى صرت فى موضع عال حقًا .. أعلى من كل الأشجار المحيطة بى .

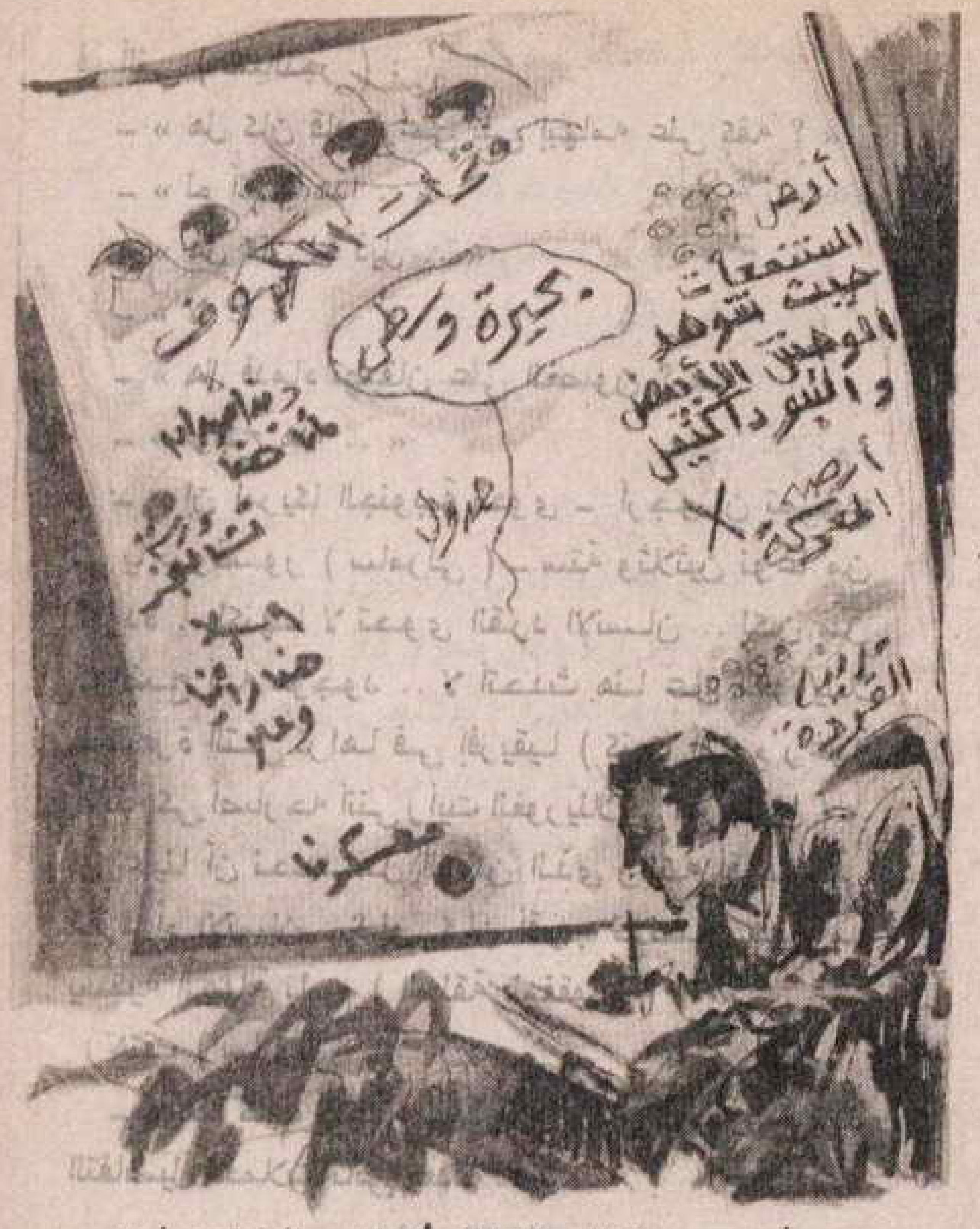
جلست على غصن أفقى ورحت أرمق هذه المنطقة العجيبة فى ضوء الغروب ..

إن اتساع الهضبة حوالى ثلاثين ميلا .. ومركزها بحيرة كبيرة .. وحول البحيرة كانت هناك أجسام طويلة لا هى تماسيح ولا هى قوارب .. لكن لها حركة وحياة خاصيتن بها ..

وعن بعد رأيت فوهات كهوف جبلية فى حاجز صخرى شامخ ..

رحت ارسم خريطة للمنطقة إلى أن غدت الرؤية متعذرة .. فرحت أهبط الشجرة عائدًا إلى رفاقى ..

راح كل واحد من رفاقى يصافحنى مهنئا .. وحكيت لهم عن المخلوق الذى شاهدته فوق الشجرة !!



رحت أرسم خريطة للمنطقة إلى أن غدت الرؤية متعذرة .. فرحت أهبط الشجرة عائدًا إلى رفاقى ..

فسألنى (تشالنجر) :

- « هل كان قادرًا على ثنى إبهامه على كفه ؟ »

- « لم ألحظ هذا .. »

- « هل كان له ذيل .. »

- « لا .. »

- « هل قدماه تطبقان على الغصون ؟ »

- « أرجح هذا .. »

- « إن أمريكا الجنوبية تحوى - أرجو أن تصحح لى يا بروفسور (سامرلى) - ستة وثلاثين نوعًا من القردة .. لكنها لا تحوى القرد الإنسان .. لكن من الواضح أنه موجود .. لا أتحدث هنا عن الغوريللا المشعرة التى تراها فى إفريقيا (كنت أقاوم رغبة هائلة كى أصارحه أننى رأيت الغوريللا فى كنزجتون) .. إن علينا أن نحدد هل الكائن الذى رأيته أقرب إلى القرد أم الإنسان ..؟ لو كان أقرب للإنسان فهو ما يسميه الجهلة باسم (الحلقة المفقودة) .. »

هتف (سامرلى) :

- « هذا كاف جدًا .. لنعد الآن إلى الوطن ونترك التفاصيل لحملات تأتى بعدنا .. »

* * *

كنا على استعداد للموافقة .. لكن ما من أحد يعرف كيفية العودة .. ووعدنا بروفسور (تشالنجر) بأن يجد حلاً لمشكلة الهبوط هذه ..

وفى تلك الليلة رسمنا خريطة الهضبة بعناية ..

سألنى البروفسور (تشالنجر) :

- « أنت وجدت هذه البحيرة الوسطى .. فبم تسميها ؟ »

قال لورد (جون) :

- « بالطبع يسميها (بحيرة مالون) .. فهذا حقه .. »

قلت وقد تضرج وجهى حمرة :

- « بل نسميها بحيرة (جلاديس) ! »

اعترض البروفسور (سامرلى) :

- « أليس اسم (البحيرة الوسطى) أفضل ! »

- « نسميها (بحيرة جلاديس) ! »

نظر لى البروفسور (تشالنجر) فى فهم ومودة .. وغمغم :

- ليكن .. سنسميها (بحيرة جلاديس) ! »

* * *

١٢ - كان الأمر شنيعًا فى الغابة ..

كنت قد قلت - أو ربما لم أقل .. لأن ذاكرتى تلعب معى ألعابًا محزية هذه الأيام - إننى شعرت بالفخار ؛ إذ كان لى ثلاثة رجال كمرافقى الشكر على إنقاذ الموقف ..

والآن بدأت أشعر بثقة فى نفسى .. ودفعنى هذا إلى أن أتحمس إلى مزيد من المخاطرة .. مخاطرة كادت تؤدى بى للهلاك ..

كان (سامرلى) ساهرًا للحراسة نصف نائم .. بينما لورد (جون) و (تشالنجر) غارقان فى النوم .. أما القمر فكان بدرًا ..

لمَ لا أذهب إلى البحيرة الوسطى - بحيرة (جلاديس) - لأجمع عنها قدرًا من المعلومات ، أعود بها فى موعد الاستيقاظ ..؟

إن هذا حتمًا سيجعل الرجال يحبسون أنفاسهم انبهارًا بشجاعتى وحسن تصرفى .. ويوم نعود إلى الوطن سأكون بطلاً ..

* * *

مشيت فى الظلام وسط الأغصان المتشابكة .. من المستحيل رؤية ضوء القمر إلا لو نظرت لأعلى ... على حين تخفى الأشجار فى ظلماتها ألف احتمال واحتمال ..

وبدأت أشعر بالتوجس .. لمَ لا يكون ذلك الوحش الذى داهمنا أمس كامنًا بانتظارى الآن ؟

فلأحشُ بندقيتى .. لكن .. يا لغبائى !! لقد جئت ببندقية صيد الطيور لا بندقية الوحوش .. أى أنها عديمة النفع ..

لكنى لن أعود .. فبندقية الوحوش لن تجدى على كل حال مع هذه الديناصورات العملاقة .. إن الأمر يتساوى إذن ..

المهم أن أمشى جوار الجدول .. فهو سيقودنى إلى البحيرة .. وعند العودة سيقودنى إلى المعسكر ..

ودنوت من البحيرة أكثر .. فوجدت بركة صغيرة الحجم بها مادة سوداء تغلى .. هذا يعنى أن البركان ما زال حيًا ..

أخيرًا صرت على حافة البحيرة .. فرقدت على بطنى وجرعت من مائها العذب البارد ما روى ظمئى ..

ورحت أرمق الأفق فى فضول ..

رأيت الفتحات التى حسبتها فتحات كهوف فى الحاجز الصخرى ..

كانت تتوهج بضوء أحمر يعنى أن هناك نارًا !.. نارًا أشعلها بشر ..!

يا له من خبر ..!

إذن لابد لنا من البحث عن أصل هذه السلالة البشرية المجهولة ..

ومن بعيد رأيت حيوانًا ضخمًا آتيًا بتؤدة نحو البحيرة ليروى ظمأه .. أجهدت ذهنى كى أتذكر ما هو .. هذا الرأس الشبيه برءوس الطير والذيل كثير العقد .. إنه (الاستيجوسوروس) آكل العشب الذى رسمه (مابل وايت) فى كراسه ... وأنه ليهز الأرض بخطواته هزًا ..

راح يشرب بعض الوقت ثم استدار مبتعدًا ..

إنها الثالثة بعد منتصف الليل وقد حان أوان العودة إلى المعسكر ..

سرت جوار المجرى عائدًا مسرورًا من الأنباء التى سأحملها لرفاقى ..

هنا سمعت من ورائى صوتًا هو مزيج من الغطيط والخوار !

زدت سرعتى .. لكن الصوت ازداد قربًا وتوعدًا ..

إنه يقتفى أثرى إذن .. وقفَ شعر رأسى ونظرت خلفى فلم أر إلا الأشجار .. إين هو ذلك الشىء ؟

وفجأة رأيته قادمًا .. يثب على قدميه الخلفيتين ككانجارو ضخم .. وحركته سريعة إلى حدّ لا يصدق ..

وأدركت فى الحال أنه كائن شرس .. لابد أنه شرس مع كل هذه السرعة والخفة .. كائن خلق ليهاجِم لا ليهاجَم ...

ماذا أفعل ..؟..

إن المنطقة خالية من الأشجار الضخمة .. ولا مكان للاختباء ..

رميت بندقيتى ورحت أركض نحو الغابة بسرعة لم أعرف قط أننى عليها قادر ..

كان اللهاث يقتلنى فتوقفت .. واستدرت ..

وهنا رأيت الوحش قادمًا فى أعقابى بسرعة مماثلة !

إنه يثب بسرعة هائلة .. وأنيابه تلتمع فى ضوء القمر مريعة واضحة .

رحت أصرخ

وهنا مادت الأرض تحت قدمى .. وشعرت أننى أهوى تحت مستوى الأرض ..

إننى فى مكان ما خبيث الرائحة .. حفرة ما .. لكنها أنقذتنى من الوحش .. إن أطرافى سليمة وضوء النجوم فوق رأسى ..

إنها حفرة .. بل هى شرك ملىء بقطع لحم شديد التعفن .. إنها شرك صنعته يد الإنسان حتمًا

فقوام الحفرة عامود أقرب إلى وتد ارتفاعه تسعة أقدام ، تلوثت قمته بدماء الوحوش التى سقطت فيه إذن هذا اللحم المتعفن هو بقايا تلكم الوحوش التى سقطت فى الحفرة ...

هل أغادر الحفرة ؟.. لعل الوحش ينتظرنى بخارجها ..

لكنى تذكرت ما قاله (تشالنجر) يومًا عن غباء الديناصور .. إن هذا الوحش قد نسى كل شىء عن وجودى فى اللحظة التى غبت فيها عن عينيه .. وبالتأكيد هو يفتش الآن عن فريسة أخرى

خرجت متسلقًا خارج الحفرة .. فلم أر أثرًا يدل على دنو الخطر .. وكان هواء الفجر ينعش صدرى



وهنا مادت الأرض تحت قدمى .. وشعرت أننى أهوى تحت مستوى الأرض ..

ومشيت جوار مجرى الماء عائدًا لمعسكرنا ...

أخيرًا وصلت المعسكر فوجدت مفاجأة مهولة ..

الباب مفتوح .. جميع المتعلقات مبعثرة .. بركة من الدماء جوار النار !

طار صوابى فرقًا ورحت أبحث فى الغابة صارخًا مناديًا رفاقى .. فلم أتلق سوى الصدى .. رحت أضرب الأشجار بقبضتى جنونًا .. وأوشك أن أمزق شعرى ..

أنا طفل لا يعرف ما يفعله وحده .. أنا طفل ، مذعور يموت رعبًا ..

أخيرًا عاد التعقل لى .. يجب أن أعرف ما حدث فعلاً .. من الواضح أن ما هاجم المعسكر هو حيوانات لا بشر .. لأن المؤن والسلاح سليمان لم يمسا تقريبًا .. ولكن كيف ؟.. وماذا حدث بالضبط ؟

يجب أن أجد أصدقائى بأى ثمن .. يجب ...

* * *

١٣ - مشهد لن أنساه ..

انحدرت الشمس إلى الأفق .. وبدأ الظلام يزحف .

لكنى شعرت بالألفة حين رأيت النار التى أشعلها الزنجى الأمين فى معسكره .. كان بانتظارنا كدأبه .. ولولاه لقتلنى الشعور بالوحدة والعزلة ..

لم أكن أجسر على النوم فى المعسكر .. لكنى كنت أهاب كذلك النوم فى العراء .. واستغرقت فى نوم عميق جوار النار حين شعرت بيد تمسك بذراعى .. وثبت مذعورًا لأجد لورد (جون) بجوارى ..

إنه هو .. لكن لشد ما تغير .. إن الجروح تغمر وجهه والدماء .. ثيابه ممزقة ووجه شاحب ..

قال لى دون أن يسمح لى بأسئلة :

- « أسرع يا فتاى !.. خذ البنادق وكل الطلقات .. خذ كل علب الطعام المحفوظ .. هيا !.. أسرع ! »

ورحت أركض معه نحو حزام الأشجار ...

فتوارينا .. واختار هو جذع شجرة غليظًا لنحتمى فيه .. وقال :

- « هنا لن يجدونا .. فهم سيهاجمون المعسكر حتمًا .. »

- « من هم ؟ »

صاح فى فزع :

- « الرجال القرود !.. إنهم مرهفو السمع حديدو البصر .. لكنهم لا يتمتعون بحاسة شم قوية لحسن الحظ .. لحسن حظك أنك لم تكن معنا هذه الليلة ! »

وتبادلنا سرد قصتينا .. فقال لى :

- « حدث هذا فجرًا .. فجأة أمطرت السماء قرودًا فوق رءوسنا .. لقد احتشدوا فوق غصون الشجرة العملاقة التى تظلل معسكرنا .. وقد حاولنا إطلاق بعض الرصاص لكن سدى .. لقد كانوا يملكون حبالاً شدوا وثاقنا بها .. إنهم فى حجم الرجل العادى لكن قوتهم هائلة .. وبشرتهم حمراء كالخنازير .. وقد قهروا حتى البروفسور (تشالنجر) قوى البنية .. لكن هذا استفز الرجل .. وجعله يقف ليصرخ فيهم ويسبهم بغلظة .. ولو كان يخاطب جيشًا من الصحفيين لما استعمل لغة أقذر من هذه ! »

- « وماذا فعلوا ؟ »

- « كان هذا غريبًا .. لقد راحوا يتكلمون ثم دنا

واحد منهم فوقف جوار (تشالنجر) .. وهنا فوجئت بما لم أتوقعه .. لقد كان القرد العجوز هو زعيم القبيلة .. ومن الغريب أنه كان نسخة أخرى من (تشالنجر) ! ذات الصدر العريض واللحية الحمراء والرقبة المبتورة .. واتجه الموكب إلى الغابة .. أساءوا معاملتى و (سامرلى) لكنهم حملوا (تشالنجر) على الأعناق .. إن مدينتهم هى مجموعة من الأكواخ على بعد أربعة أميال من هنا .. وهناك قيدونى و (سامرلى) إلى شجرة .. أما (تشالنجر) فأجلسوه على عرشهم جوار ملكهم ..

وراحوا يقدمون له الفاكهة وسائر ضروب التكريم .. وقد أمكننا أن نعرف شيئًا عن البشر الذين لمحت نيرانهم فى فتحات الكهوف .. إنهم يختلفون عن الرجال القرود ويهابونهم .. لقد رأيت الرجال القرود قد أسروا عددًا من هؤلاء البشر فأساءوا معاملتهم أسوأ معاملة .. بل إنهم انتزعوا أذرع عدد منهم من الأجساد !.. كان مشهدًا شنيعًا فقد (سامرلى) الوعى على أثره .. وعرفنا بعد هذا أنهم يعدمون أسراهم بإجبارهم على الوثب من فوق الحاجز الصخرى

ليسقطوا فوق خوازيق البامبو .. إنها تسليتهم المفضلة ويا لها من تسلية !.. وقد فهمنا من لغة الإشارات أنهم يدخروننا .. أنا و (سامرلى) للوثب فوق البامبو اليوم .. »

ثم التقط أنفاسه وأردف :

ـ « لقد عرفت الكثير عن هؤلاء الرجال القرود .. فهم لا يركضون بسرعة لأن سيقانهم قصيرة .. كذلك هم لا يعرفون شيئًا عن البنادق وهذه لعمرى هى الورقة التى سنلعب عليها .. لقد نجحت فى الفرار من حارسى وجئت ها هنا كى أسترد البنادق .. »

ثم قال فى تصميم :

ـ « سنعود لإنقاذ العالمين .. لن يجىء المساء إلا وقد أنقذناهما أو متنا معهما .. »

وتناولنا الإفطار .. وكان اللورد جائعًا .. ثم ملأنا جيوبنا رصاصًا ومشينا عبر الأشجار عائدين إلى قرب معسكرنا القديم ..

قال اللورد :

ـ « علينا التحرك فى العراء لأن الأشجار هى أرض ملعبهم التى يتحركون فيها بسلاسة غير عادية .. ستكون حافة الهضبة هى نقطة هجومنا .. والآن

فلنتقدم .. وأنصحك ألا تقع أسيرًا فى أيديهم أبدًا ! »

وبعد ساعتين من السير كنا فى مكان قريب من مدينة القرود ، كما قال اللورد .. فزحف على بطنه ليلقى نظرة .. ثم دعانى للدنو ..

كان مشهدًا لن أنساه ما حييت ..

كانت هناك مساحة واسعة معشوشبة ، حولها نصف دائرة من الأشجار .. وأكواخ غريبة الشكل .. ينتشر بينها الرجال القرود .. ورأيتهم يقفون فى صف منتظم يحيط ببعض الهنود حمر البشرة ذوى الحجم الضئيل .. ورأيت بينهم (سامرلى) مطرق الرأس ..

ورأيت فى مكان بعيد (تشالنجر) وقد تبدل كثيرًا .. لقد فقد كل ما وهبته الحضارة إياه .. فقد صار عارى الصدر تمتزج لحيته بشعر صدره الأحمر الكث .. وقد غدا سرواله وما تحته نوعًا من الذكريات ..

وبالفعل كان ملك القرود يقف جواره فبدا الشبه مذهلاً .

عندها بدأ الحفل ..

رأيت القرود يحملون أحد الأسرى من ذراعيه نحو الهاوية .. فيطوحون به فى الهواء ليسقط صارخًا ..

وحين صمت أخيرًا رأيتهم يتحشدون مهللين على الحاجز الصخرى ليروا ما حدث له ...

بعدها جاء دور البروفسور (سامرلى) ...

حمله قردان فى وحشية قاصدين الحافة ، فجرى (تشالنجر) إلى الملك يتوسل إليه بالإشارة كى يترك صديقه .. لكن الملك لم يتحمس لذلك ...

هنا دوى صوت الطلقة وهوى الملك مضرجًا فى دمائه .. لقد أحسن لورد (جون) التصويت ..

صاح اللورد :

ـ « هلم يا فتاى ! إضرب حشودهم !.. اضرب ! »

وانهمر الرصاص على الرجال القرود .. فسقط حاملاً البروفسور (سامرلى) .. وراح الرجال القرود يركضون هنا وهناك كالسكارى غير عالمين من أين يأتى هذا الهول كله ..

وعلى الفور جرى (تشالنجر) جاذبًا يد (سامرلى) ليلحقا بنا ..

وبدأنا الانسحاب بينما لورد (جون) يحمى انسحابنا بطلقاته ...

واستمرت المذبحة ..

إلى أن وصلنا معسكرنا .. فلم يعد أحد يقفو أثرنا .

لكن الهنود الحمر الأسرى كانوا هناك .. لقد جاءوا خلفنا ..

رأيناهم يجثون على الأرض فى إجلال ، يرتجفون ويسألوننا الحماية ..

هتف (تشالنجر) فى حماس وهو يخاطب اللورد :

ـ « رائع !.. رائع !.. إنك قد أنقذت العِلْم الحديث بإنقاذك لنا أنا و (سامرلى) .. »

بدا لنا سخيفًا بعض الشىء أن يقف أمل العِلْم الحديث عاريًا بشعره الأحمر الكثيف .. والواقع أن منظره أثار هلع الهنود بالفعل حتى أنهم تشبثوا بساقى لورد (جون) يسألونه الحماية ..

لكن الرجل لم يفطن إلى حقيقة الشبه المذهل التى أنقذتنا ..

ونعمنا جميعًا بليلة هادئة بعد كل هذا العناء ..

لولا أن شعرت بمن يوقظنى فى الظلام .. كان هذا هو بروفسور (تشالنجر) الذى جاء ليسألنى هامسًا :

ـ « أنت لم تدون فى مذكراتك شيئًا عن .. عن هذا الموقف السخيف .. »

- « نعم .. نعم .. »

- « لا حاجة لذكر هذا الموضوع فى المذكرات لأنه سيثير استيائى حقًا .. »

ثم بعد تفكير قال :

- لكن ملك القرود يملك شخصية متميزة .. شخص وسيم ذكى .. ألا ترى هذا ؟ »

- « إنه شخصية مميزة حقًا .. »

عندئذ تركنى راضيًا ليخلد للنوم ....

* * *

١٤ - كانت غزوات حقيقية ..

حسبنا أن مطاردينا - الرجال القرود - يجهلون مخبأنا هذا .. لكن سرعان ما عرفنا أننا مخطئون ..

لقد تعلمنا كيف يصبر هؤلاء الأعداء بانتظار سنوح الفرص .. وسأحكى لك ها هنا كل شىء عما حدث ..

كنا قد صحونا مرهقين بعد عناء الأمس .. فتناولنا إفطارنا وقد عزمنا على الدوران حول البحيرة للوصول إلى كهوف الهنود ..

إن هذه هى آخر المهام التى علينا أن نقوم بها قبل العودة ، هذا بالطبع لو وجدنا طريقة نعود بها ..

وفى ضوء النهار تفحصنا هؤلاء الهنود .. كانوا قصار القامة .. لكنهم أقوياء مفتولو العضلات يسترون عوراتهم بقطعة من الجلد ، ويعقصون شعرهم بقطع مماثلة .. وكانت حلمات آذانهم دامية متدلية فأدركنا أنهم كانوا يضعون أقراطًا مزقها آسروهم ..

وكانت لغتهم سَلِسَة ميزنا لفظة (آكالا) .. ومن

الواضح أنها ترمز إلى قبيلتهم .. وميزنا لفظة (دودا) يقولونها فى هلع .. وهم يشيرون إلى الغابات .. وهذا يعنى أن هذا هو اسم الرجال القرود عندهم ...

سأل لورد (جون) البروفسور :

- « ألا ترى مثلى أن هذا الشاب هو زعيمهم ؟ »

بالفعل كانت مخايل الزعامة تبدو على الفتى .. وكان واثقًا من نفسه .. وذات مرة وضع يده على صدره وقال بشمم :

- « ماريتاس ! .. »

قال الأستاذ وهو يشير إلى أحد الهنود كأنه يحاضر :

- « إن هؤلاء القوم متحضرون .. ويصعب القول أنهم تطوروا عن الرجال القرود .. أعتقد أنهم جاءوا من خارج الهضبة أساسًا .. أما القرود فقد نشأوا هنا منذ البداية .. »

هنا قلت وقد فطنت إلى شىء :

- « إن أحد هؤلاء الهنود مفقود ! »

- « لقد ذهب ليجلب الماء .. »

- « سأذهب لأرى ما دهاه .. »

وهرعت صوب الجدول حاملاً بندقيتى ..

وعند الجدول وجدت شجرة .. تحتها شىء أحمر مكتوَم ..

إنها جثة الهندى وقد انثنى رأسه فى زاوية غير معقولة .. هرعت نحوه لأرى حين وجدت ذراعين قويين يخرجان من بين أغصان الشجرة ، ليهبطا فوقى .. ويطبقا على عنقى ...

وانثنى رأسى للوراء وفقدت قدرتى على التحمل .. وغامت عيناى .. وهويت إلى الأرض غائبًا عن الوعى ...

وأفقت لأرى لورد (جون) يبلل رأسى بالماء ، والأستاذان يعاوناننى على النهوض ..

قال لورد (جون) :

- « لقد سمعنا صراخك .. وهرعنا نحوك فوجدناك وقد مال رأسك إلى الوراء فى قبضتى ذلك الوحش ، فحسبنا عددنا قد نقص واحدًا .. لقد فرّ هذا الوحش للأسف .. »

كان خطر الرجال القرود يتزايد .. إن بأسهم يزداد ليلاً ، ومن الواضح أنهم سيختارون الليل للهجوم .... لهذا من الحكمة أن نتحرك فى ضوء النهار سريعًا قبل فوات الأوان ...

وسارت حملتنا المثيرة للشفقة تجاه الكهوف ..
وفى ساعة من الظهيرة كنا قد وصلنا إلى البحيرة ...
وفوقها رأينا حشدًا من الزوارق قادمًا نحونا ...

فما إن دنت حتى تعالت صيحات الفرح ، وراح الرجال يلوحون برماحهم فى الهواء ، ثم واصلوا التجديف .. والتفوا حول قدمى زعيمهم ما إن وصلوا إلى اليابسة .. وجاء رجل متقدم فى السن فقبَّل الشاب الذى تبدو عليه الزعامة فى حنان .. ثم حيانا بوقار ..

كان الرجال مدججين بالرماح والفئوس .. ويرددون (دودا .. دودا) بلا انقطاع ، فعلمنا أنهم جاءوا للحرب واسترداد أميرهم من قبضة آسريه .. إذن فالشاب هو أميرهم ..

ودار اجتماع حرب فوق صخرة .. بمجرد ما انتهت مراسم التعارف ..

كان من الواضح أن القوم يريدون العودة ، لكن أميرهم يطالبهم بانتهاز الفرص ، ما دام هؤلاء البيض ها هنا .. فلِمَ لا يقومون بحرب شعواء تستهدف إبادة الرجال القرود ؟

تحمس لورد (جون) للأمر .. فهو يريد إفناء الرجال القرود دون تردد .. وطلب رأينا ..

وافقت أنا و (تشالنجر) .. ولم يجد (سامرلى) مناصًا من القبول ...

وأشرنا لهم بالموافقة فعتالت صيحات التهليل ...

وفى تلك الليلة صرنا ضيوفهم .. وجاءوا لنا بحيوان صغير من نوع (إجوانودون) وكان يحمل بين كتفيه تلكم العلامة المستديرة .. وفهمنا أخيرًا أن هذه العلامات كوشم الماشية يضعها ملاكها على حيواناتهم ..

وتم شىَّ الحيوان على النار ، وكان عشاءً شهيًا بحق .

بعد العشاء رأيت أن (تشالنجر) يتفحص باهتمام إحدى حفر الوحل التى تخرج منها فقاعات غازية .. قرب منها عود ثقاب ، فاشتعل الغاز محدثًا فرقعة .. فبدا عليه الرضا وقال :

- هذا (هيدورجين) .. إن عبقريتى لقادرة على صنع منطاد يطير بنا من فوق هذه الهضبة إلى السهل .. »

* * *



كان القرود أقوياء .. وكان الواحد منهم يقتل هنديًا
أو اثنين قبل أن يهلك ..

فى الصباح اكتمل عددنا خمسمائة من الرجال الأشداء .. وكونا جيشين وانضممنا إلى رماحهم وسهامهم ببنادقنا ...

وهنا هجم علينا الرجال القرود .. فانطلقت السهام وطلقات الرصاص تحصدهم حصدًا .. واشتعل القتال فى الغابات بشكل أكثر شراسة ..

كان القرود أقوياء .. وكان الواحد منهم يقتل هنديًا أو اثنين قبل أن يهلك .. بل إن قبضة يدهم كانت قادرة على تهشيم بنادقنا تهشيمًا ...

لكن كفتنا كانت الراجحة باستمرار ....

وتركنا مطاردة فلولهم للهنود .. لكن (تشالنجر) كان متحمسًا .. راغبًا فى مزيد من الدماء .. وقال لنا :

– « هذه يا سادة من أعظم معارك التاريخ .. إن هذه المعارك الوحشية بين الإنسان والأجناس الأخرى ، هى التى صنعت الحضارة ، هذا هو الغزو الحق .. ومنذ هذه اللحظة غدت الهضبة حكرًا على بنى آدم .. إنها لمعركة عظمى تختلف عن كل معارك العصر الحديث التى لا جدوى منها .. وتدور بين دولة ودولة مماثلة لها .. »

وعندما تحركنا رأينا الغابة مكسوة بجثث الرجال القردة ..

ورأينا الهنود يقودون الرجال القرود الذين ظلوا أحياء إلى حافة الهاوية ...

وتحت تهديد الرماح ، اضطر القرود المائة إلى الوثب .. هناك ثلاثون منهم أبوا أن يثبوا فاخترقت الرماح أجسادهم .. أما الباقون فهووا إلى حيث كان الهنود يلقون نهايتهم فى الماضى ..

لقد رسخت سلطة الإنسان للأبد فى هذه الهضبة ..

وكانت النهاية الدامية لحرب طالت حتى حسمتها البنادق ..

وبينما نحن نرمق المشهد قال (سامرلى) :

- « ها نحن أولاء قد نلنا كفايتنا من كل هذا .. والآن يا (تشالنجر) أريد منك أن تستخدم عبقريتك فى إخراجنا من هذه الأرض التى غفل عنها الزمن »

* * *

١٥ - لقد رأت عيوننا عجبًا ..

أكتب هذه الأحداث يومًا بيوم .. لكننى قبل أن أصل إلى نهايتها أجرؤ على القول إن الضوء يسطع من خلال السحب ..

نحن ها هنا بلا سبيل واضح للنجاة .. لكننى أتخيل أن اليوم آت حين أشعر بالرضا لأننا حبسنا برغم إرادتنا فى هذه الأرض .. لنرى من غرائبها ما رأينا .

لقد جعل نصر الهنود واندحار الرجال القردة منا سادة الهضبة الحقيقيين .. وصاروا يرمقوننا بشىء من رهبة وانبهار وامتنان ..

وأدركت أنهم - برغم هذا - يتمنون أن نرحل .. لكنهم لم يعرضوا علينا سبيلاً يسهل لنا الوصول إلى السهل ..

كان هناك ممر .. لابد أن الجميع كان يستعمله فيما سبق .. الهنود والرجال القرود و (مابل وايت) سلكوا هذا الطريق مرارًا .. لكن زلزالاً فظيعًا قد حدث .. وهوت صخرة لتسدّ هذا الممر ..

وبالتالى صارت الهضبة معزولة حقًا ..

* * *

كان الهنود راغبين فى استضافتنا فى كهوفهم .. لكن لورد (جون) لم يتحمس كثيرًا لهذا ، لأنه لا يريد أن نظل تحت رحمة هؤلاء الهنود .. فهم قد ينقلبون علينا يومًا ما ...

لكننا فى الوقت الحالى حافظنا على علاقات ملأى بالمودة معهم ..

كانت كهوف هؤلاء القوم ترتفع عن الأرض بمسافة كبيرة ، تقود إليها درجات سلم منحوت فى الحجر ..

ومن الداخل تزدان الجدران برسوم متقنة تظهر وحوش الهضبة .. ويعم الكهف جو من الدفء ..

وبدأنا ندرك أننا كنا مخطئين حين حسبناهم راغبين فى رحيلنا .. بل هم مسررون ببقائنا .. ويحاولون أن يحجبوا عنا أية تفاصيل يعلمونها عن طريقة الفرار ..

لقد اعتبرنا هؤلاء القوم جنسًا متفوقًا من البشر .. وظنوا أن وجودنا معهم يعنى حسن الحظ الدائم ..

بل إنهم عرضوا زوجة على كل منا .. وكهفًا خاصًا .

لذا اجتمع قرارنا على الفرار سرًا .. لأننا توقعنا أن يمنعونا بالقوة ..

* * *

كنت أمشى ذات مرة قرب موطن (التيروداكتيل) حين رأيت رجلاً يمشى داخل قفص من البوص .. كما يفعل الغواصون حين يراقبون أسماك القرش .. وعرفت أن هذا لورد (جون) ..

فما إن رآنى حتى سألته فى حيرة :

ـ « ماذا تفعل هنا ؟ »

ـ « جئت لأقابل أصحابى من (التيروداكتيل) .. »

ـ « ولمه ؟ »

ـ « إنها مخلوقات جديرة بالمراقبة .. لكنهم لا يحبون الدخلاء .. ألم تلحظ هذا ؟.. لهذا أراقبهم من داخل القفص لأحمى نفسى .. »

ـ « ولمه ؟ »

ضحك وقال فى خبث :

ـ « إن (تشالنجر) يبغى واحدًا .. لا داعى لبقائك معى .. فأنا فى مأمن داخل قفصى أما أنت فلا .. وداعًا .. سأعود للمعسكر ليلاً .. »

أما (سامرلى) فكان يقضى وقته بين جمع الحشرات والطيور فى الهضبة .. وصبَّ اللوم على رأس (تشالنجر) الذى لم يف بوعده فى إخراجنا من هذا المكان ..

لكن منقذنا لم يكن (تشالنجر) ..

كان هو الأمير الشاب الذى قادنا إلى صف الكهوف ذات ليلة بينما قومه نيام .. وناولنى قطعة من لحاء الأشجار .. وانصرف ...

كانت خريطة للكهوف مرسومة على اللحاء ..

هكذا عرفنا حين تفحصنا اللحاء بدقة ..

وكان أعمق الكهوف هو الكهف الذى وضعت تحته علامة مميزة ..

إذن فهذا الكهف سيصل بنا إلى السهل الممتد أسفله ..

ولم نتوان عن اختبار قدرتنا .. صعدنا إلى الكهف المشار إليه ، وأشعلنا قطعًا من الخشب .

ورحنا نبحث .. نبحث حتى وجدنا فتحة مظلمة فى الجدار .. قادتنا إلى ممر متسع منحدر ..

وباجتياز الممر وجدنا ضوء القمر الفضى يغلف السهل الخارجى ..

صاح لورد (جون) فى مرح :

- « مرحى !.. هذا هو السهل .. لقد وصلنا يا فتيان ! »

كانت الكوة ترتفع بمائة متر عن الأرض ...

وكانت الحبال قادرة على أن تؤدى غرض الهبوط لهذه المسافة ..

ليكن الهرب فى الليلة القادمة حين نستعد تمامًا .. ويجب أن يجهل الهنود كل شىء عن مشروعنا هذا ..

* * *

وساد الظلام الهضبة فى اليوم الثانى ..

ثم إننا حملنا صناديقنا إلى الكهف .. وسرنا عبر هذا الممر حتى وصلنا إلى الكوة .. ونجحنا فى الهبوط لأسفل .. لنكون عند قدمى الحاجز الصخرى الرهيب ..

وشرعنا نركض نحو الصخرة الهرمية حيث ينتظرنا (زامبو) ..

غدًا نعود عبر نهر الأمازون إلى ديارنا ...

* * *

وأخيرًا - بمزاج ممتن متواضع - أنهى هذا السرد .

لقد رأت عيوننا الأعاجيب .. وتطهرت نفوسنا بكل ما تحملناه ..

لقد غدا كل منا رجلاً أفضل وأعمق ..

سنبتاع ما نريد من مؤن فى (بارا) .. وهناك سأرسل هذا الخطاب بالبريد .. فإن لم أستطع سأحمله معى إلى لندن ..

على كل حال أتعشم قريبًا جدًا أن أصافحك يا مستر (ماكاردل) ..

* * *

١٦ - موكب !.. موكب !

أرغب فى أن أسجل هاهنا شكرى لكل من ساعدنا فى رحلة العودة عبر نهر الأمازون ، وعلى ضيافته وكرم سجاياه ..

ويؤسفنى اضطرارى لتزييف إحداثيات ومعالم رحلتنا ، بحيث يعجز الجميع عن تكرار الرحلة مرة أخرى ..

ولقد بدأت الرسائل البرقية تنهمر من جريدة لأخرى ، بمجرد أن دنت سفينتنا خمسمائة ميل من (ساوثمبتون) .. وتلقينا عروضًا كثيرة من عدة صحف تعرض علينا تنويهًا بسيطًا عن رحلتنا .. عندها فقط عرفنا مدى اهتمام الدوائر العلمية بهذه الرحلة ..

وقد استقر رأينا على ألا نلفظ بشىء قبل أن نقابل أعضاء معهد علم الحيوان أولاً ..

ولهذا رفضنا الإدلاء بأية تصريحات ...

وأذيع أن اجتماعًا سيعقد لنا فى قاعة الملكة بشارع (ريجنت) فى اليوم السابع من نوفمبر .. لهذا استعد الناس جميعًا لحضور هذا الاجتماع ..

ولن أحكى لكم على لسانى شيئًا .. بل سأحكيه لكم كما جاء فى الجريدة بتاريخ ٨ نوفمبر :

العالم المفقود

اجتماع فى قاعة الملكة

حوادث خارقة للعادة

تم أمس اجتماع عقده معهد علم الحيوان لسماع ما تبين للبعثة التى سافرت إلى أمريكا الجنوبية ؛ للتحقق مما زعمه البروفسور (تشالنجر) عن وجود حيوانات ما قبل التاريخ حية فى تلك القارة ..

وقبل حلول الثامنة مساء كانت القاعة مكتظة عن آخرها بالناس .. وكان هناك من يتشاجرون بالخارج لمنعهم من الدخول .. وقد تدخل رجال البوليس ونشأت مشاجرة عنيفة جرح فيها كثيرون .

وظهر الرحالة الأربعة ليواجهوا خمسة آلاف شخص . ودوى التصفيق الحاد وراح الحاضرون يهتفون فى حماس .

بعد هذا جاء دور المقدم ليدعو البروفسور (سامرلى) إلى الكلام .. وحمد الله على نجاة هؤلاء السادة ، لأن خسارة هؤلاء الرحالة كانت تعنى ضربة قاصمة لعلم الحيوان (وقد وافق على هذا تشالنجر بحماس) ..

راح (سامرلى) يحكى للحضور رحلتهم فى النهر .. ومحاولة اجتياز الحاجز الصخرى .. وحكى لهم عن الوحوش العجيبة التى رأوها ...

وقد قدم قائمة بهذه الوحوش ، وإن قال إن القائمة ستتسع حين يتم مسح هذه الهضبة مسحًا علميًا كاملاً .

وعاد إلى مكانه بعد ما أنهى خطابه ، فتصاعدت أصوات الاجتماع تطالب بالبراهين . وحاول مقرر الندوة تهدئة الأمر دون جدوى .

هنا نهض (تشالنجر) ليلوح بذراعيه صائحًا :

- « إن هرجًا أحمق مماثلاً حدث فى آخر اجتماع حضرته هنا قبل سفرى .. ولكنى استفدت من هذه التجربة السابقة أن آتى معى بدليل حاسم ، لا يجادل فيه رجل عاقل ..

إن الرجال القرود قد أتلفوا آلات التصوير لكن لدينا مجموعة نادرة من الحشرات والطيور جمعها الأستاذ (سامرلى) بعناية .. وكذلك تحت يدى دليل سوف يخرس المعارضين ..

عندها دخل رجل زنجى عملاق المكان ، وتعاون مع مستر (مالونى) فى إدخال صندوق كبير .. تقدما حتى وضعاه أمام مقعد البروفسور (تشالنجر) وشرع البروفسور يفتح الصندوق .

عندها خرج من داخله طائر شنيع المنظر له صراخ رفيع .. له عينان متقدتان ومنقار ملىء بأسنان حادة .. وكانت له رائحة كريهة حقًا ..

وقد تسبب هذا فى جو عام من الذعر وبعض إغماءات .

عندها فتح الطائر جناحيه الجلديين المليئين بالشعر ، وحلق فى سقف القاعة ..

صاح البروفسور (تشالنجر) ..

- « أغلقوا النافذة !.. أغلقوها ! »

لكنه تأخر كثيرًا لأن الطائر غادر النافذة إلى سماء (لندن) ..

وتنفس الناس الصعداء لفرار الطائر .. لكن (تشالنجر) لم يبد راضيًا عن هرب هذه العينة الثمينة .

وكان هذا كافيًا .. إذ تصايح الناس فى حماس :

- « موكب !.. موكب ! »

وارتفع الرحالة الأربعة فوق الأعناق وخرجت بهم الجماهير من القاعة فى موكب حماسى .. وتوقف المرور فى العاصمة بسبب الزحام .

لقد كانت أمسية غير عادية حقًا ..

وماذا عن (جلاديس) ؟

(جلاديس) التى تتصل بى منذ عودتى إلى (لندن) .

ذهبت لزيارتها قلقًا .. أتراها هلكت ؟.. لماذا لم تلقنى بذراعين مفتوحتين كما توقعت أن أراها .. يوم أعود مظفرًا ؟

طرقت الباب ففتحت الخادمة لى ..

كانت (جلاديس) جالسة على البيانو .. فاقتحمت المكان وهرعت نحوها وأمسكت يديها .. وهتفت :

- (جلاديس) ! »

نظرت لى فى دهشة .. ثمة تغير ما قد طرأ عليها فما هو ؟

انتزعت يديها من يدى .. وسألنى بفتور .
- ماذا تريد ؟ »
- ماذا ؟ »
- « إن اسمى هو السيدة (بوتس) !.. تعال أقدم لك زوجى ! »
ودون أن أفهم وجدت رجلاً قصير القامة يدنو ليصافحنى .. وقالت :
- « لقد سمح أبى بأن نقيم فى هذا البيت حتى نعدّ بيتنا ! »
- « آه .. فهمت .. »
- « ما حيلتى ما دمت هجرتنى ورحلت بعيدًا ..؟ »
نظرتُ لها عاجزًا عن التعليق .. ثم نظرت لزوجها متسائلاً :
- « كيف نجحت فى ذلك ؟.. هل وجدت كنزًا ؟.. هل اكتشفت قارة ؟.. أم سبحت عابرًا المانش ؟ »
نظر لى غير فاهم ما أريد .. أخيرًا قال :
- « أنا كاتب لدى محام ! »
غادرت الدار دون كلمة أخرى مُكتفيًا بتحية المساء .
لقد عادت بحيرة (جلاديس) ليكون اسمها (البحيرة الوسطى) !

* * *

بعد أمسية قضيناها فى دار لورد (جون) ؛ قال لنا وهو يخرج صندوق سيجار من خزانته :
- « لم أكن أريد إخباركم بشىء قبل أن أتأكد من الأمر .. أما الآن فأنا واثق .. لقد وجدنا - كما تذكرون - حفرًا بركانية بها فخار أزرق فى موطن (التيروداكتيل) .. أنا أعرف أن هناك حفرة بركانية مماثلة واحدة فى (كيمبرلى) على مدخل المنجم الأكبر للماس .. لهذا توجهت - داخل قفص من البامبو - إلى موطن (التيروداكتيل) وقمت باستخراج عشرين أو ثلاثين قطعة من هذا الخزف الأزرق .. وبعد هذا - عند عودتنا - توجهت إلى جوهرى شهير .. قدر لى المجموعة بمائتى ألف سيخص كلا منا خمسون ألف جنيه منها ! »
وسأل كل منا عما سيفعله بنصيبه ..
قال (تشالنجر) إنه سيقيم متحفًا للتاريخ الطبيعى .
وقال (سامرلى) إنه سيتفرغ للدراسة ..
وقال اللورد إنه سيعود لدراسة الهضبة .. وأنت يا (مالون) ؟.. هل ستتزوج بحصتك ؟..
قلت فى أسى :
- « لا .. بل سأعود إلى الهضبة .. معك !
وتصافحت يدانا عَبْر المائدة .

* * *

[تمت بحمد اللّه]

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

العالم المفقود

هناك فى موضع ما بقرب نهر (الأمازون) أرض لم يرتدها بشر من قبل .. لم ترسمها أية خارطة من قبل .. وحتى من يعيشون قرب هذه الأرض يتحدثون عنها فى همس متوجس .. إنها أرض غفل عنها الزمن ، لهذا هى مفعمة بالاحتمالات والأخطار .. فلتحزموا حقائبكم وتودعوا أحباءكم لأننا راحلون إلى هناك ، مع البروفسور (تشالنجر) ورفاقه .. كلا .. لاتقلقوا بصدد تذاكر العودة لأنها موضوع آخر ...!

19

الثمن فى مصر ١٥٠ قرش جنيه
ومايعا...
فى سائر...

العدد القادم
صائع الأمطار

